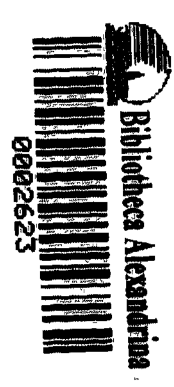


أدب الوزير

للإمام أبي الحسن الماوردي
المتوفى عام ٤٥٠ هـ

دكتور
محمد سليمان داود
مدرس الفلسفة الإسلامية
كلية التربية - جامعة طنطا

دكتور
فؤاد عبد المنعم أحمد
قاضي بالمحاكم الابتدائية
ومنتدب للتدريس بجامعة الجزائر



الناشر
دار الجامعات المصرية
تليفون ٢٢٤٦٩٩ بالاسكندرية



الوزارة

أدب الوزير

للإمام أبي الحسن الماوردي

المتوفى عام ٤٥٠ هـ

تحقيق ودراسة

دكتور
محمد سليمان داود
مدرس الفلسفة الإسلامية
كلية التربية - جامعة طنطا

دكتور
فؤاد عبد المنعم أحمد
قاضي بالمحاكم الإبتدائية
ومنتدب للتدريس بجامعة الجزائر

الطبعة الأولى

١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م

الناشر
دار الجامعات المصرية
تليفون ٢٢٤٦٩ اسكندرية

مقدمة

عن المؤلف والكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

المـــاوردى

عصر المـاوردى :

عاش أبو الحسن المـاوردى فى بغداد فى الفترة الثانية من الحكم العبـاسى ، وهى الفترة التى تميزت بضعف الخلفاء العباسيين ، وسيطر فيهـا البويهيون على السلطة الفعلية فى البلاد ، وهى فترة تزيد عن قرن من الزمان ، وقد شمل نفوذهم رقعـــة كبيرة من الدولة الاسلامية فارس والعراق ، وهم من أصل فارسى ، ويقول المؤرخون أن [بويه] كان والداً لثلاثة أخوة : على ، والحسن ، وأحمد ، وكانوا قواداً لعصابات مغامرة يطلق عليهم [الديلم] ، وكان أبوهم رجلا فقيراً يعمل بالصيـد ، ثم انتظمـوا تحت لواء جيش الخلافة الإسـلامى ، وأخذوا يتدرجون فى الوظائف العسكرية حتى سيطروا على الدولة وعلى الخليفة العباسى نفسه ، وأطلقوا على أنفسهم الملوك والسلاطين ، ولقبوا أنفسهم بألقاب توحى لسامعيها بأنهم الحفـاظ على الدولة ، وأنهم أسسها ، وأنهم قوامها مثل : عماد الدولة ، وعضد الدولة ، وبهـاء الدولة ، وجلال الدولة ، وهم فى الحقيقة عكس أسمائهم ، يعيثون فى الدولة الإسلامية فساداً ، يرهبهم الخليفة ، ويرهبهم الشعب ، وكان للملوك بنى بويه الوزراء ، ولم يتركوا للخليفة العباسى إلا مظاهر الخلافة مثل : الخطبة لهم على المنابر ، ونقش أسمائهم على النقود ، بل شـاركوا الخلفاء أحيـانا فى بعض هذه المظـاهر ، ووصل بهم الأمر إلى أن تعلق مصير الخليفة برضـائهم ، فقد كان لهم قوة عزله وتولية غيره ، وقـد يسجنون الخليفـة دون طعام وشراب حتى يموت جوعا ، وقد يقتلونه أو يسملون عينيه ، فى مطالع مولد الماوردى يحكى ابن الأثير إن معز الدولة البويهى أهان الخليفة المستكفى ، وقبض

عليه ، وسمل عينيه وأجلس المطيع [٣٣٤ - ٣٦٣ هـ] بدلا منه على عرش الخلافة ، وحدد له ألف درهم فى اليوم ، ثم قطع ذلك الراتب عنه بعد أن فتح البصرة ، وحدد له إقطاعات صغيرة يعيش منها .

وفى عهد بنى بويه انتشرت الفوضى والفتن الطائفية ، وساد الفزع قلوب الأهليين (١) ، وكان عضد الدولة (٣٦٧ هـ) يوقع بين الملوك والوزراء كذبا وبهتانا ليشعل نار الفتنة والعداوة بينهم ، فقد كان فى عهده كاتبا أحدبا (على بن محمد الأحدب المزور) (٣٧٠ هـ) يزور الرسائل والمكاتبات ، وكان يجيد التزوير حتى لا يشك أحد فى وثائقه ، وكان عضد الدولة إذا أراد الإيقاع بين الملوك أمره أن يكتب بخط أحدهم ، ويرسله إلى الآخر حتى يفسد الحال بينهما (٢) .

وتتابعت موجة عزل الخلفاء ، فأتى بعد معز الدولة إبنه عزالدولة بختيار فقام بعزل الخليفة المطيع ، وولى الطائع (٣٦٣ هـ — ٣٨١ هـ) الخلافة ، فاضطربت أمور الدولة : فالشيعة فى نزاع مع أهل السنة ، والجند متأخرة رواتبهم ، ويلحون فى طلبها ، ويستنجد بابن عمه عضد الدولة ، فينتهز المناسبة ويتصل سرا بجند عز الدولة ، ويشجعهم على طلب أرزاقهم ، ومن جهة أخرى يدفع عز الدولة على مقاومتهم ، واتخذ من حقد الخليفة وكراهيته لعز الدولة سلما للوصول للسلطة ، وتقوم معركة بين جيش عز الدولة ، وجيش عضد الدولة ، وتنتهى المعركة بأسر عز الدولة ، ويساق لبغداد ، ويقتله ابن عمه عضد الدولة ، ويقبض على وزير عز الدولة أبى طاهر محمد بن بقية (٣٥٦هـ -٣٦٧هـ) فيسمله ،

---

(١) حسن إبراهيم تاريخ الإسلام السياسى جـ ٣ ص ١٤ .
(٢) المصدر السابق ص ١٠٦ .

ويأمر بأن يلقى تحت أقدام الفيلة حتى الموت ثم صلبه على الجسر ، وبقى ابن بقية مصلوبا خمسة أعوام حتى تولى صمصام الدوله ابن عضد الدولة ـ الحكم وأنزله ودفنه(١) . كما أن شرف الدولة بن عضد الدولة لما تولى الحكم سمل أخاه صمصام الدولة ثم قتله ، كما قتل أمه ودفنها فى دكة (٢) . ومن هنا يتبين لنا أن المعارك والخلافات كانت تدور أيضا داخل البيت البويهى نفسه ، وبين الولايات الاسلامية التى تولاها البويهيون . ولما تولى بهاء الدولة بعد أبيه شرف الدولة طمع فى أموال الخليفة الطائع ، فدخل عليه فى جمع من أتباعه ، وقبل الأرض بين يديه ، وتظاهر أحد [الديلم] بأنه يريد تقبيل يد الخليفة ، ثم جذبه ، وأنزله عن سريره ، والخليفة الطائع يقول [إنا لله وإنا إليه راجعون] وهـــو يستغيث ، ونقل لمنزل بهاء الدولة ، وأجبره على التنازل عن الخلافة ، وولى القادر بالله [٤٢٢ هـ] واستمر القادر فى الخلافة أكثر من أحدى وأربعين سنة ، وكان عالما متدينا متهجدا ورعا ، وقد صنف الخليفة القادر كتابا فى الأصول أنكر فيه على المعتزلة القول بخلق القرآن ، وذكر فيه فضائل الصحابة ، وفضائل عمر بن عبد العزيز وقد اعتبره الشيخ تقى الدين بن الصلاح من فقهاء الشافعيه وأورده فى طبقاتهم ، وفى هذه الفترة ظهر بعض أئمة الفكر الاسلامى كالقاضى أبى بكر الباقلانى (٤٠٣ هـ) وأبى اسحاق الاسفرايينى (٤١٨ هـ) وهما من كبار الأشاعرة ، والقاضى عبد الجبار أحمد (٤١٤ هـ) وهو رأس المعتزلة ، وأبى القاسم بن حبيب النيسابورى وهو من كبار المفسرين ، ورأس الكرامية محمد بن الهيصم (٣) .

---

(١) ابن الأثير الكامل حـ ٧ ص ٩٢ .

(٢) المصدر السابق ص ١٩٣ .

(٣) السيوطى تاريخ الخلفاء من ص ٤١٦ إلى ص ٤١٧ .

وبلغ من حسن سياسة وكياسة القادر أنه تزوج ابنة بهاء الدولة ، وأمر الخليفة بأن يضاف إلى اسم بهاء الدولة فى خطبة الجمعة [قوام الدين ، صفى أمير المؤمنين] وعلى الرغم من هذا لم يبق للخليفة من أمر سوى ذكر اسمه فى الخطبة، ونقشه على النقود ، وفى عهده قامت ثورة بين الشيعيين المؤيدين بالبويهيين وبين أهل السنة فى بغداد كاد يقتل فيها أبو حامد الاسفراييني - أحد شيوخ أبى الحسن الماوردى - ولقد كان التشيع - الذى أحدث انقساما كبيرا بين المسلمين - مأوى يلجأ إليه فى الواقع كل من يريد أن يكيد للاسلام ، أو يريد ادخال تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية وفارسية أو يريد استقلال بلاده عن دولة الاسلام ، كل هؤلاء كانوا يتخذون حب آل الرسول ستارا يضعون وراءه كل ماتشاء لهم الأهواء ، فاليهودية ظهرت فى التشيع فى قول بعضهم أن نسبة الأمام [على] إلى الله كنسبة المسيح إليه ، وتستر بعض الفرس بالتشيع وحاربوا الدولة الأموية ، وفى نفوسهم إلا الكره للعرب ودولتهم والسعى لاستقلالهم عن الدولة الاسلامية(١).

ويقول صاحب كتاب [النجوم الزهرة] عن بهاء الدولة بأنه ظالم غشوم، سفاك للدماء حتى أن خواصه كانوا يهربون من قربه، وجمع من المال مالم يجمعه أحد من بنى بويه ، ولم يكن فى ملوك بنى بويه من هو أظلم منه ولا أقبح سيرة ، وتوفى بهاء الدولة (٤٠٣ هـ) ، واقتسم أبناؤه الثلاثة الولايات بعـــد أبيهم ، ولكن ساءت العلاقات بينهم ، وقامت الحرب بين الأخوين : سلطان الدولة ، وقوام الدولة ، وانتشرت الفتن ، واضطرب الأمن فى البلاد ، فاستدعى الخليفة القادر جلال الدولة إلى بغداد ، وكان لجلال الدولة وزير يدعى ابن ماكولا ، وقامت علاقة طيبة بينهما وبين شيخنا الماوردى ، ولما أطلق جلال الدولة على نفسه

---

(١) الشيخ أبو زهرة تاريخ المذاهب الاسلامية حـ١ ص ٣١ ، ص٣٢ .

[شاهنشاه] أى ملك الملوك وأفتى بعض الفقهاء بجواز التسمية اعترض الماوردى وقال : إن هذا اللقب خاص بالله ، ولا يطلق على بشر ، وأستجاب جلال الدولة لفتوى الماوردى ، وليس من السهل على جلال الدولة أن يصغى لفتوى الماوردى إلا لما يتمتع به من منزلة سامية فى العلم وأثر كبير بين الناس(٢) .

ولقد بعث الخليفة القائم بالله الماوردى إلى جلال الدولة عام ٤٣٤ هـ عندما أستولى جلال الدولة على نصيب الخليفة من هدايا ، وكانت عادة تحمل إلى الخلفاء المسلمين ، ولما ساءت العلاقات السياسية بين جلال الدولة وابن أخيه أبى كاليجار عام ٤٢٨ هـ لم يجد أمامه إلا الماوردى ليكون سفيرا يصلح ذات البين بينهما ، وقد نجح الماوردى فى سفارته ، وأصلح بينهما .

ولما تولى الخليفة القائم الخلافة ، وتولى الملك أبو منصور فيروز ـ الابن الأكبر لجلال الدولة ـ لقبه الخليفة بالملك العزيز ، ولكنه لم يستطع أن يحتفظ بنفوذ أبيه فى بغداد ، فقد دخل بغداد أبو كاليجار (٤٣٥ هـ ـ ٤٤٠ هـ) ويحكى لنا كل من ابن الوردى وابن الأثير : إن الخليفة القائم أرسل الماوردى إلى الملك كاليجار يطلب منه البيعة ، ويخطب له ، فاستجاب وبايع وخطب له وأرسل معه هدية إلى الخليفة . ويبدو لنا أن هذه الفترة هى التى كتب فيها الماوردى كتبه السياسية كالاحكام السلطانية ، وقوانين الوزارة ، لانها أنسب الظروف للكتابة فى هذا الموضوع فهنا يتمتع بسمعه طيبه وبعلاقة بالخليفة القادر ، وابنه القائم ، وبالملوك . كجلال الدولة ، وبالوزراء كابن ماكولا ، وهو موضع ثقة ، وعالم بأسرار العلاقات ، فالوسط الذى عاش فيه هيأه للكتابة فى السياسة ، وبلغ من الخبرة والعلم والعمر مداه ، ولعل الوزير الذى كتب له كتاب (الوزارة)

---

(١) ابن خلدون تاريخ ابن خلدون حـ٢ ص٤٤٩ .

هو (ابن ماكولا) وزير جلال الدولة الذى ارتبط به الماوردى ارتباطاوثيقا، وخضع لرأيه ، وأخذ بفتواه عندما أطلق على نفسه (شاهنشاه) .

أما المجتمع الذى عاش فيه الماوردى فكان مجتمعا طبقيا ، انقسم فيه المجتمع إلى أربع طبقات : طبقة الخلفاء والسلاطين والملوك ، وطبقة الوزراء وكبار أصحاب المناصب كرؤساء الجند والقضاء ، وطبقة الأثرياء الذين يتحكمون فى اقتصاد الدولة ، وطبقة العوام وهم سواد الناس وهى الطبقة الدنيا .

وأما الجانب الدينى فقد كان كما سبق أن بينا وجود خلافات الشيعة المؤيدين بالبويهيين ، وبين أهل السنة المؤيدين من الخليفة ، ولقد استتاب القادر بالله المعتزله والشيعة وغيرهم من الكتابة فيما ينكره من مذاهبهم ، ونهى عن النظر فى شىء منها ، ومن خالف ذلك نكل به وعذبه(١) .

---

(١) ابن الاثير الكامل فى التاريخ حـ٩ ص١٢٧ .

معالم حياته

أبو الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردى ، ولد بالبصرة عام ٣٦٤ هـ / ٩٧٤م رحل إلى بغداد وتعلم بها . وعلم فيها . واشتغل بالقضاء فى البصرة وبغداد وصل إلى منصب قاضى القضاة عام ٤٢٩هـ - ١٠٣٧م .

واشتهر الماوردى فى الفكر الإسلامى ببحوثه السياسية ، وتكاد أن تكون تلك هى صبغته . فكتب كتابه الهام الذى أرتبط باسمه فيقال صاحب كتاب « الأحكام السلطانية » ، كما أفرد للوزارة كتابا ضمنه قوانين الوزارة وسياسة الملك ، كما ألف كتاب « تسهيل النظر وتعجيل الظفر » وهو أيضا فى السياسة . كما خص أولى الأمر بكتاب للنصح باسم « نصيحة الملوك » .

وقد ساعد الماوردى فى كتابته السياسية قربه من الخلفاء والملوك والوزراء وعمل سفيراً بينهم وبين خصومهم السياسيين .

وكان الماوردى أديباً لغوياً ، أثرى الأدب العربى ، كما كتب فى الأخلاق والتربية ، كما كانت له بعض النظرات الصائبة فى بعض الأحاديث ووثقه فيها بعض علماء الجرح والتعديل ، وكان فقيها شافعيا مجتهدا ينهج نهجا علميا يكاد يكون حديثاً ، فيعرض لوجهات النظر المتعارضة والمختلفة فى المسألة الواحدة ويرجح بينها ، وينتهى لرأى يرى فيه وجه الحق والصواب حتى انتهت اليه زعامة الشافعية فى عصره .

وانفرد فى تفسيره ببعض الاتجاهات التى تدل على أصالة وعمق فى التفكير . وتتميز جميع كتاباته بأسلوب واضح بليغ ينتقى ألفاظه ومعانيه . ويؤلف بينها كأنها شعر منثور .

وكان أخلاقيا فى سيرته ومعاملاته بين الناس . وعمر طويلا فعاش ستا وثمانين سنة ومات سنة ٤٥٠ هـ - ١٠٥٨م ودفن ببغداد بباب حرب .

شيوخه :

تتلمذ الماوردى على شيخين كبيرين :

أحدهما : أبو القاسم عبد الواحد بن الحسين الصيمرى ولم نجد شيئا كثيرا عنه فى كتب التراجم وكل ما وصلنا اليه أنه سكن البصرة وارتحل إليه الناس من أماكن كثيرة وكان حافظا للمذهب الشافعى ومصنفا فيه . ويقول عنه صاحب « طبقات الشافعية » إن الصيمرى منسوب إلى نهر من أنهار البصرة يقال له الصيمر تقع عليه عدة قرى . ويقول أيضا : إن الصيمر بلد بين ديار الجبل وخورستان ، وينفى أن الصميرى منسوب إليها . ويقول إن الماوردى كان يخرج مع جماعة تحيط بالصيمرى ومن تصانيفه : الايضاح فى الفروع ويقع فى سبعة مجلدات ، وله كتاب الكفاية ، وكتاب فى القياس والعلل ، وكتاب صغير فى أدب المفتى والمستفتى ، وكتاب فى الشروط . توفى الصيمرى بعد عام ٣٨٠ هـ(١).
وقد وضحت آثار هذه الكتب فى مؤلفات واتجاهات الماوردى .

---

(١) أبو اسحاق الشيرازى : طبقات الفقهاء تحقيق الدكتور إحسان عباس طبعة بيروت ١٩٧٠ ص ١٠٠ وابن هداية الله الحسينى الملقب بالمصنف : طبقات الشافعية طبعة بغداد ١٣٥٦ هـ ، المكتبة العربية ص ٤٣ ، والاسنوى : طبقات الشافعية ، طبعة وزارة الأوقاف العراقية جـ ٢ ص١٢٧ وياقوت الحموى : وفيات الإيمان جـ ٥ ص ٤٠٦ والخضرى : تاريخ التشريع الإسلامى ص ٢٢٦ وعبدالله مصطفى المراغى : طبقات الأصوليين جـ ١ ص ٢١٠ .

الثاني : الشيخ أبو حامد أحمد بن محمد بن أحمـــد الاسفرايينى من أعلام الفكر الإسلامى ، فكان يحضر مجلسه ثلثمائة فقيه وقيل سبعمائة يرتحلون اليه من مشارق الأرض ومغاربها ، وكان عظيم الجاه عند الملوك مع الدين الوافر والورع والزهد . يقول عنه الشيخ أبو اسحق الشيرازى (٤٧٦ هـ) :

انتهت إليه رئاسة الدين والدنيا فى بغداد وكان يتميز بالشجاعة فى إبداء الرأى وما يعتقد أنه الحق ، ويجهر به أمام السلطان ، وقع من الخليفة أمير المؤمنين ما أوجب أن يكتب إليه الشيخ أبو حامد : إعلم أنك لست بقادر على عزلى من ولايتى التى ولايتها الله تعالى ، وأنا قادر أن أكتب رقعة إلى خراسان بكلمتين أو ثلاث أعزلك من خلافتك »[1] . هذه دلالة على ما كان يتمتع به الاسفرايينى من الشجاعة وقوة التأثير وكثرة الاتباع .

وحدث أن قامت فتنة بين أهل السنة والشيعة . فقد كتب الشيعة مصحفا أسندوه إلى عبدالله بن مسعود وهو يخالف المصاحف كلها ، فثار عليهم أهل السنة واجتمع العلماء والقضاة فى مجلس بزعامه أبى حامد الذى أشار بحرقه ، فذهب صغار الشيعة لمنزل الشيخ أبى حامد وكادوا يقتلونه[2] . ولقد تركت هذه الشجاعة طابعها المميز فى تلميذه الماوردى فقد أعترض الماوردى بتسمية خلال الدولة « ملك الملوك » على الرغم من صداقته له ، فضلا عما اشتهر به خلال الدولة من استبداد وبطش ، مما دعا فقهاء عصره إلى جواز هذه التسميه ، ولكن الماوردى

---

(١) السبكى : طبقات الشافعية الكبرى تحقيق عبد الفتاح الحلو ومحمود محمد الطناحى طبعة أولى ١٩٦٦ ، مطبعة عيسى الحلبى ج ٤ ص ٦٤ .

(٢) نفس المصدر ص ٦٥ والسيوطى تاريخ الخلفاء ص ٤١٦

رفض هذه التسمية واستند لحديث للنبي صلى الله عليه وسلم يقول فيه : « إن أخنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك »(١) .

ولزم الماوردى داره إلى أن أرسل إليه جلال الدولة وقال له : قد علم كل أحد أنك أكثر الفقهاء مالا وجاها وقربا منا ، وقد خالفتم فيما خالف هواى ، ولم تفعل ذلك إلا لعدم المحاباة منك واتباع الحق . وقد بان لى موضعك من الدين ومكانك من العلم ، واسند إليه منصب قاضى القضاة »(٢) .

ولقد قضى أبو حامد الاسفرايينى حياته ببغداد مشغولا بالعلم حتى صار أوحد وقته ، وانتهت إليه الرئاسة وعظم جاهه عند الملوك والعوام (٣) .

ويقول عنه صاحب كتاب مفتاح السعادة « انتهت إليه رياسة الدين والدنيا ببغداد ، وطبق الأرض بالأصحاب . وجمع مجلسه ثلاثمائة متفقه . وقيل سبعمائة فقيه ، وكان الناس يقولون لو رآه الشافعى لفرح به . وكان عظيم الجاه عند الملوك مع الدين الوافر ، والورع والزهد واستيعاب الأوقاف بالتدريس والمناظرة ، ومؤاخذة النفس على دقيق الكلام ومحاسبتها على هفوات اللسان ، وكان أبو الحسين القدورى من الحنفية يعظمه على كل أحد . وقد توفى أبو حامد الاسفرايينى

---

(١) الزبيدى : مختصر صحيح مسلم تحقيق محمد ناصر الألبانى - ط الكويت ١٩٦٩ جـ ٢ ص ١٣٤ و١٣٥ كما رواه الإمام البخارى عن أبى هريرة - راجع الترغيب والترهيب جـ ٤ ص ١٤٠ كتاب النكاح .

(٢) القلقشندى (٨٢١ هـ) : صبح الأعشى فى صناعة الانشاء جـ ٦ ص ١٦ ، ١٧ .

(٣) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ، المجلد الرابع - مطبعة السعادة بمصر ص ٣٦٩ .

٤٠٦هـ[١] وكان فى مدرسة أبى حامد الاسفرايينى أبو الطيب الطبرى (٤٥٠هـ) : [كان أبو الطيب ورعا عارفا بالأصول والفروع محققا حسن الخلق صحيح المذهب] [٢] ومن تلاميذ أبى حامد أيضا أحمد بن عبد الله بن أحمد بن ثابت المشهور بأبى نصر الثابتى البخارى (٤٤٧ هـ) : عاش فى بغداد يدرس بها ، وصنف عدة كتب . وصلى عليه الماوردى ودفن بجانب شيخه [٣] . وكان فى المدرسة أيضاً الشيخ الجليل أبو سعيد الخوارزمى الضرير (٤٤٨ هـ) الذى لم يكن فى عصره من الشيوخ بعد أبى الطيب الطبرى أفقه منه[٤] .

كما تتلمذ الماوردى فى الأدب والشعر على : عبد الله محمد البخارى الملقب بالشيخ الإمام أبى محمد البافى الخوارزمى (ت ٣٩٨ هـ) الشافعى المذهب ، كان فقيها أديبا فصيحا خطيبا شاعراً يرتجل الشعر على البديهة [٥] .

ويقول عنه الثعالبى : إن له لسانا يستوفى أقسام الفصاحة ويجمع بين العذوبة وحسن العبارة والبراعة ، وشعر يشرف بصاحبه ويأخذ من القلب بمجامعه [٦] ، ويبدو أن نزعته الشعرية قد ألقت بظلالها ، وتركت آثارها عند تلميذه الماوردى فى كثير من مؤلفاته .

---

(١) بطاش كبرى زادة : مفتاح السعادة ومصابيح السيادة تحقيق كامل بكرى وعبد الوهاب أبو النور ج ٢ ص ٣١٨ .

(٢) السبكى : طبقات الشافعية ج ٥ ص ١٤ .

(٣) نفس المصدر السابق ج ٤ ص ٢٥ و ٢٦

(٤) نفس المصدر ج ٤ ص ٨٣ و ٨٥

(٥) ابن تغرى : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢١٩

(٦) الثعالبى : يتيمة الدهر ج ٣ مطبعة الصاوى ١٣٥٢ هـ = ١٩٣٤ م ص ٦٠٨

وكان من شيوخ الماوردى فى الحديث الحسن بن على بن محمد الجبلى[١] ومحمد بن عدى المنقرى[٢] ومحمد بن المعلى الأزدى[٣] وجعفر بن الفضل البغدادى المعروف بابن المارستانى[٤] المتوفى بعد سنة ٣٨٤ هـ .

تلاميذ الماوردى:

تخرج على الماوردى جماعة من التلاميذ برز منهم :

١ — الخطيب البغدادى ؛ أبو بكر أحمد بن على بن ثابت [٥] صاحب كتاب تاريخ بغداد (المتوفى ٤٦٣ هـ) ، الفقيه الحافظ أحد الأئمة المشهورين ،

---

(١) أنظر فى ترجمته الاكمال فى رشح الارتياب والمختلف من الأسماء والكنى والإنساب تحقيق العلمى اليمانى طبعة حيدر آباد الأولى ص ٢٦٤ ، والسمعانى الانساب ص ١٢١ ب ، وابن الأثير : اللباب جـ١ ص ٢٨ وابن حجر العسقلانى تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ص ٢٩٤ وتاريخ بغداد للخطيب جـ ٢ ص ١٠٢

(٢) الانساب ص ٥٤٣ ب ، الكامل طبعة بيروت جـ ١ ص ٦١١ واللباب جـ ٢ ص ١٨٤ .

(٣) معجم الأدباء جـ ٤ ص ٧٧ جـ ٩ ص ٥٥ ، وحول نسبته راجع الانساب ٢٧ ب واللباب جـ ١ ص ٣٦ ، وحول حديثه تاريخ بغداد جـ ١٢ ص ١٠٤ والانساب ٥٤ ا والسبكى جـ ٢ ص ٢٦٦ .

(٤) تاريخ بغداد جـ ٧ ص ٢٣٣ والمنتظم جـ ٧ ص ١١٧ وميزان الاعتدال جـ ٢ ص ١٩٢ طبعة أولى لسان الميزان جـ ٢ ص ١٢٤ وطبقات ابن الجوزى جـ ١ ص ١٩٧ .

(٥) معجم الأدباء جـ ٤ ص ١٣ وابن تغرى : النجوم الزاهرة جـ ٢ ص ٨٧ والانساب ص ٢٠٠ - العبر جـ ٣ ص ٢٥٣ - وفيات الأعيان جـ١ ص ٧٦ .

وقد تنقل فى بلدان كثيرة ، وكان عالما ومؤرخا كبيراً ، ومن أهم كتبه فى الحديث والمسانيد كتاب « الأمالى » و « حديث النزول » و « مختصر السنن » ومنها فى المسند والمصطلح : بيان حكم المزيد فى متصل الأسانيد والكفاية فى معرفة أصول علم الرواية — ومنها فى آداب المحدث والفقيه اقتضاء العلم والعمل ، وتقييد العلم . وفى الفقه : نهج الصواب والدلائل والشواهد والفنون والآثار المروية .

وفى الزهد : خطبة عائشة فى الثناء على أبيها . والمنتخب من الزهد والرقائق وفى الأدب : كتاب البخلاء .

ومنها فى أسماء رجال الحديث ونقدهم : الأسماء المبهمة فى الآثار المحكمة .

وفى كتب التاريخ : تاريخ بغداد ومناقب الشافعى ومناقب الإمام أحمد . وكتاب الوفيات .

٢ — ابن خيرون — أبو الفضل أحمد بن الحسن بن خيرون البغدادى (١) المتوفى ٤٨٨هـ .

٣ — عبد الملك بن ابراهيم بن أحمد ، أبو الفضل الهمذانى الفرضى المعروف بالمقدسى(٢) المتوفى (٤٧٩ هـ) . وهو من همذان وسكن بغداد وتوفى بها وكان من أئمة الدين وأوعية العلم . وحدث باليسير . وكان يحفظ غريب الحديث

---

(١) له ترجمة فى ميزان الاعتدال رقم ٤٣٢ — الوافى بالوفيات جـ ٥ ص ٧٦ والبداية والنهاية جـ ١١ ص ١٤٩ وفى أنه الحسن بن أحمد بن خيرون طبقات الجزرى ص ٤٦ ، لسان الميزان جـ ١ ص ١٥٥

(٢) له ترجمة فى طبقات الشافعية للاسنوى جـ٢ ص ٥٢٩ وطبقات ابن السبكى جـ ٥ ص ١٢٣ و ١٦٢ - ١٦٤ .

لأبى عبيد (١) (٢١٠ هـ) ، ومجمل اللغة لابن فارس وكان زاهداً ناسكا عابداً متورعا ، وكان فى الفرائض والحساب وقسمة التركات إمام عصره ، ورفض تولى القضاء ، ويقال إنه كان معتزليا ، ويقول عنه الخطيب البغدادى : إنه أخذ الفقه عن الماوردى .

٤ — محمد بن أحمد بن عبد الباقى بن الحسن بن محمد بن طوق (٤٩٤ هـ)(٢) ويكنى أبو الفضائل ويذكر صاحب طبقات الشافعية أنه تفقه على الماوردى وسمع الحديث من أبى اسحق إبراهيم بن عمر البرمكى ، والقاضى أبى الطيب الطبرى وكتب الكثير من كتبه بخطه .

مؤلفات الماوردى :

• ألف الماوردى كتابا فى تفسير القرآن الكريم أسماه « النكت والعيون فى تأويل القرآن الكريم »(٣) . وهو مايزال مخطوطا مبعثرة أجزاؤه بين مكتبات الدول الإسلامية والأجنبية . فالجزء الأول موجود بدار الكتب المصرية وهو ناقص من أوله . وأول ماجاء فيه تفسير قوله تعالى : قلنا اهبطوا بعضكم لبعض

---

(١) أبو عبيد القاسم بن سلام وقيل ابن سلام بن مسكين بن زيد وكان جمالا ذا وقار وهيبة . وقاضيا بطرسوس الفهرست لابن النديم ص ١١٢ .

(٢) السبكى : طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق عبد الفتاح الحلو ومحمود محمد الطناحى جـ ٤ ص ١٠٢

(٣) السيوطى . طبقات المفسرين ٦ طبعة ليدن ١٨٣٩م ص ٢٤ وابن خلكان كتاب وفيات الأعيان وأبناء الزمان ـ ط المنيرية ١٣٧٥ هـ جـ ١ ص ١٦٣ وأبى الفدا ـ المختصر فى أخبار البشر جـ ٢ ص ١٨٨ .

عدو ، ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين (البقرة ٣٦) وتنتهى إلى آخر سورة الكهف [١] . وهناك نسخة أخرى تبدأ من أول القرآن وتنتهى إلى سورة الأنعام . وبخط قديم فى مائة وخمس وسبعين ورقة وهى مخطوطة بمكتبه صنعاء باليمن [٢] ، والجزء الرابع من القرآن كتب فى عام ١٢٠٠ هـ وهو موجود بمكتبة خزانة السيد سعيد حمزة نقيب الأشراف بدمشق [٣] والجزء الخامس من القرآن موجود بمكتبة العباسية بالبصرة والنسخة مكتوبة عام ٦٥٢ هـ وتبدأ من أول سورة لقمان وتنتهى بسورة ق [٤]

وتوجد نسخة كاملة من الكتاب فى مكتبة كوبريلى باستانبول بثلاثة أجزاء [٥] كما توجد نسخة أخرى فى جامعة القرويين بفاس فى المملكة المغربية فى مجلدين قديمين سقطت بعض الأوراق منها .

● كتاب الحاوى الكبير وكتاب الاقناع :

قال الماوردى : « بسطت الفقه فى أربعة آلاف ورقة واختصرته فى أربعين » يريد بالمبسوط كتاب الحاوى . وبالمختصر كتاب الاقناع [٦] .

(١) فهرس مخطوطات دار الكتب المصرية جـ ١
(٢) مجلة معهد المخطوطات العربية المجلد الأول جـ ٣ ص ٢١١
(٣) نفس المصدر المجلد الخامس جـ ٢ ص ٢١٦
(٤) نفس المرجع المجلد الأول جـ ٢ ص ١٥٤ .
(٥) كتبخانة (استانبول) لزاده محمد باشا ، الملحق الثالث ص ١٣٨ وتسلسل الكتاب هو ٢٢ و ٢٤ و ٢٥ . ونعتقد أنها النسخة الأصلية فقد ذكر العماد الحنبلى فى شذرات الذهب حـ ٣ ص ٢٨٥ أن للماوردى تفسير فى ثلاث مجلدات .
(٦) ياقوت : معجم الأدباء ـ مطبعة دار المأمون حـ ١٥ ص ٥٢ و ٥٣ .

ويقول ابن خلكان فى الحاوى : « لم يطالعه أحد إلا شهد له بالتبحر والمعرفة التامة فى المذاهب »[١] وقال له الخليفة القادر (٤٢٢ هـ) عن قيمـــة كتاب الاقناع « حفظ الله عليك دينك كما حفظت علينا ديننا »[٢].

وكتاب (الحاوى الكبير) موسوعة فقهية ، فقد تضمنت تلك الموسوعة بجانب العبادات جميع فروع القانون العام والخاص . ففى الكتاب فصول عن « الحدود وقطاع الطريق والتقريرات . وهو ما نطلق عليه القانون الجنائى » وفصول عن الزكاة والعشر والخراج والجزية والركاز وهو ما نطلق عليه القانون المالى ، كما تناول فى بحثه القانون المدنى من المعاملات والأحوال الشخصية فى الزواج والطلاق والميراث والوصية ، كما بحث فى القانون التجارى فى باب الشركات والمضاربات وأما قانون المرافعات فبحثه فى باب الدعوى والقضاء والشهادة ، فوضح كيف ترفع الدعوى والخطوات التى يجب إتباعها حتى صدور الحكم فى القضية ، وقد بحث القانون الدولى العام فى باب السير والمغازى ودار الحرب ودار السلام ، كما تتضمن كتاب الحاوى أبحاثا عميقة فى أصول الفقه يعرض للأصول التى يعتمد عليها الفقيه فى حكمه وهى الكتاب ، والسنة والاجماع والقياس .

وعلى الرغم من أهمية كتاب الحاوى بيد أنه لم يطبع للآن لضخامته وتفرق أجزائه فى أقاصى الشرق والغرب . وهناك نسخة فى قرابة ثلاثين جزءاً بدار الكتب المصرية [٣] .

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان - طبعة المنيرية ج ١ ص ٤٦٣

(٢) معجم الأدباء ج ١٥ ص ٥٥

(٣) يحمل رقم ٨٢ فقه شافعى .

وكتاب الاقناع ويشتمل على الأحكام مجردة عن الدليل ، بيد أنه كان محل ثقة الفقهاء فقد نقل عنه الامام النووى فى عـــدد كبير المسائل (١) كما نقل عنه الشيخ الرملى فى فتاواه ، وعلى الرغم من ذلك فان فهارس المكتبات التى بين أيدينا لا تكشف عن وجود نسخة منه .

ـ كتاب أعلام النبوة :

وهو يبحث فى أثبات النبوات بأدلة مدارها العقل وحده، وقد أثنى على هذا الكتاب الشيخ أحمـد بن مصطفى المعروف بطاش كبرى زاده (٢) ، كما أثنى عليه من المحدثين الأستاذ محمـد كرد على .

والكتاب مطبوع .

ـ كتاب الأحكام السلطانية والولايات الدينية :

يعتبر كتاب الأحكام السلطانية ، بحث فيما نطلق عليـه اليوم « القـــانون الدستورى » . ويعد هـذا الكتاب بحق مرجعا لكل من يكتب فى مبادىء الحكم عند المسلمين ، فقد تعرض فيه الماوردى للخلافة أو الامامة، والوزارة والامارة والقضاء وولاية المظالم وأنواع الولايات كولاية النقابة على الأنساب والولاية على إمامة الصلاة والولاية على المال ووضع الدواوين وترتيبها ونظامها واختصاصها ، وتبدو قيمة الكتاب أنه يمس أولى الأمر ومن بيدهم زمام الحكم من الخليفة إلى المحتسب وقد ترجم الكتاب إلى الفرنسية المستشرق (أفا جنان) وطبع بالجزائر

---

(١) المجموع جـ١/٣٩٤ و ٤٥٣ و ٤٩٩ و ٥٧١ و جـ٢/٩١ و ٢٠٠ و ٢٤٨ و ٣٧٦ و جـ٣/٤١ . وغير ذلك وهى كثيرة جداً .

سنة ١٩١٥[١] . كما ترجم إلى اللغة الانكليزية بمعرفة هويتبخ وطبع بلندن[٢] ١٩٤٧م وترجمه آخرون حتى غدا كتابا عالميا ليس محصورا فى لغة واحدة .

— كتاب تسهيل النظر وتعجيل الظفر :

ويتضمن الكتاب موضوعين مهمين .

احداهما : الكلام فى أصول الأخلاق من الناحية النظرية وبهذا يبدو الماوردى فيلسوفا يحتل مكانه بين فلاسفة عصره كابن سينا وابن مسكويه وغيرهما .

الثانى : فى سياسة الملك وقواعده

وهو مخطوط وتوجد منه نسختان :

أحداهما . نسخة بمكتبة غوته فى ألمانيا الشرقية وتحمل الرقم ١٨٧٢ غوته [٣] .

والثانية ـ نسخة بكلية الآداب فى طهران وتحمل الرقم ٩٠ ـ د ش ه دفتر ٢٣ ب ـ ٢٩ [٤] وتقع فى أحدى عشرة ورقة وهى مختصرة للنسخة الاولى .

---

(1) E. Fagnan : Mawerdi les status gouuernementausc ou Regles de droit et administratif tradwts et annotes alger I915.

(٢) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسى ج٤ ص ٦٦٣

(3) Pertoch, w Die arabischen Mdss. Uerz- oglichen Bilèatheli zo Cotha No. 1872

(٤) محمد تقى وانس بزوه : فهرست نسخه هاى خطى كتبخانه دانشكدة أو ات طهران (١٢٣٩ جابخانه دانشكاه) شماره اسال هشتم ص ١٢٨ .

ــ كتاب نصيحة الملوك .

مخطوط فى المكتبة الوطنية فى باريس بفرنسا فى المجموع رقم ٢٤٤٧ ويقع فى ٦٣ صفحة مؤرخة بتاريخ ١٠٠٧ هـ (١)

ــ كتاب الوزارة أو أدب الوزير

وهو موضوع دراسة لاحقة . كما أنه موضوع التحقيق .

ــ كتاب العيون فى اللغة .

قال ياقوت عنه « رأيته فى حجم الايضاح أو أكبر (٢) ، والايضاح كتاب متوسط فى النحو لابى على الفارسى المتوفى ٣٣٧ هـ . (٣)

وكتاب الماوردى فى النحو لم يصل إلينا ، فهو مفقود .

ــ كتاب الأمثال والحكم :

كتاب أدبى قال الماوردى فى مقدمته : « وجعلت ماتضمنه من السنة ثلثمائة حديث ، ومن الحكمة ثلثمائة فصل ، ومن الشعر ثلثمائة بيت ، وقسمت ذلك عشرة فصول أودعت كل فصل منها ثلاثين حديثا وثلاثين فصلا وثلاثين بيتا ، فيكون مايتخلل الفصول من أختلاف أجناسها أبعث على درسها وأقتباسها . وكتاب الأمثال والحكم لايزال مخطوطا توجد نسخة مخطوطة منه فى ليدن برقم ٣٨٢ وارنر فى المجموع رقم ٦٥٥ القسم الثانى منه ويبتدىء بالورقة ٤٦ وينتهى بالورقة ١١٤

(1) De Slane : M. Le Boran : Brbliotheque Nationale Department des manus crits Catalogue des manuscrits arabs paris II p. 428.

(٢) معجم الأدباء جـ ١٥ ص ٥٤ .

(٣) مقدم أدب الدنيا والدين لمصطفى السقا طبعة الحلبى ص ١١ .

أى أنه يقع فى ٦٨ ورقة . (١)

ـ كتاب أدب الدنيا والدين :

كتاب يقرر المبادىء الأخلاقية ثم يبحث عن النصوص التى تؤيده من القرآن والسنة ومنثور الكلم ومنظومه وهو يمزج بين تراث العرب وتراث الأمم الأخرى بمادة غزيرة وتلاحم مستمر ، فالكتاب حسن الصياغة والسبك مفيد فى التربية والأخلاق . وقد طبع عدة طبعات كما ترجم إلى اللغة التركية. وقام البعض بشرحه كالأرزنجانى بحاشية منهاج اليقين فى شرح أدب الدنيا والدين . كما أختصره آخرون .

منهج الماوردى .

يمكن أن نستخلص منهج الماوردى من دراسات مؤلفاته . فالمنهج الذى أتبعه. يعرض آراءه واتجاهاته مستندا فيها إلى كتاب (الله عز وجل) وإلى سنة رسول الله ﷺ . وكان دقيقا فى الاستدلال بهذين المصدرين فقد كان مفسرا وكان محدثا . وقد لاحظنا أنه فى بعض المواقف يستند إلى أحاديث تتسم بالضعف . ويبدو أن هذا يتفق مع منهجه من أحاديث المعاملات فقد كان يقول. إن أخبار المعاملات لا تراعى فيها عدالة المخبر . وإنما يراعى فيها سكون النفس إلى خبرة . فتقبل من كل بر وفاجر ومسلم وكافر وصغير وبالغ . (٢)

كما يستشهد بالأمثال والحكم فلديه ذخيرة كبيرة من حكم العرب والفرس

(1) P. Voorhoeve : Codioes Meinuscripit VII handlist of arabic manuscripts in the library of the uocnersity of lieden and anther Collection in the Netherland (lugdumi Batavorum 1957) p: 13.

(٢) أدب القاضى حـ ١ ص ٢٧٥ .

والروم والهند . كما يستدل بأقوال الشعراء العرب. مما يدل على أنه يتمتع بذاكرة حافظة واعية لأشعارهم . وفى المسألة الواحدة يسندها إلى أكثر من دليل . فينتقل من استدلال إلى استدلال . وكان يعلل هـذا التنقل فيقول : إن القلوب ترتاح إلى الفنـون المختلفة . وتسأم الفن الواحد] .(١) وهذا الاتجـاه يشجع القارىء على متابعته والاستمتاع بهـا . ويميـل فى كتاباته إلى انتقاء الألفاظ والكلمـات ذات النغم الموسيقى . ويكثر فى تعبيراته من المحسنات اللفظية من بديع وبيان . فقد تأثر أسلوبه بعمداء الأدب العربى القديم مثل عبدالله بن المقفع وعبد الحميد الكاتب وعمرو بن عثمان الجاحظ وتجد هذا الأسلوب بوجه خاص فى مؤلفاته ذات الطابع التربوى والارشادى والتوجيهى مثل . كتاب أدب الدنيا والدين . وكتاب الأمثال والحكم . ففى هذه الكتب يخاطب العواطف والقلوب ، وأما كتاباته ذات الاتجاه العقلى مثل كتاب الأحكام السلطانية والحاوى الكبير وأعلام النبوة فكان لهذه الكتب منهج خاص يتفق وطبيعة موضوعاتها ، فيكاد أن يقتصر فى استدلالاته فيها على الكتاب والسنة وإلى أقوال الفقهاء المسلمين ، وأما فى تفسيره لآيات القرآن ، فإنه يعرض لوجهات النظر المختلفة فى المسألة الواحدة ، وعندما تتعارض آراء المفسرين يلجأ إلى توقيف أهل اللغة وأقوال اللغويين والشعراء وفى الآيات التى تتعلق بأصول الحكم فانه يوليها جانبا كبيرا من أهتمامه وعنايته ويوضح أتجاهاته وآراءه السياسية فيها .

---

(١) مقدمة أدب الدنيا والدين .

الكتاب

مكانة كتاب الوزارة بين الكتب السياسية :

بدأت بحوث المفكرين فى السياسة قبل الماوردى ، وكانت تدخل تلك البحوث عرضا وضمنا داخل مؤلفاتهم فى التفسير والحديث والفقه والكلام والأدب ، ففى التفسير والحديث كانت تظهر تلك الأبحاث السياسية أثناء تفسير الآيات والأحاديث التى لها علاقة بولى الأمر ووجوب طاعته ، وفى كتب الفقه والكلام والأدب تبدو تلك الأبحاث تحت أبواب القضاء والشهادة وما تقتضيه آداب معاملة الخليفة والوزير والرعية . ثم أفرد المفكرون المسلمون لموضوعات السياسة بحوثا خاصة بها ، فمن هذه البحوث التى وصلتنا « رسالة الصحابة » لعبد الله بن المقفع (١٤٢ هـ) ، وكتاب العثمانية لأبى عثمان عمرو بن عمر الجاحظ (٢٥٥هـ) وكتاب السعادة والإسعاد فى السيرة الانسانية لأبى الحسن محمد بن يوسف العامرى (٣٨١ هـ) وكتاب سياسة الممالك فى تدبير الممالك لابن الربيع وكتاب فى السياسة للوزير أبى القاسم الحسين بن على المغربى (٤١٨ هـ) .

وقد عرض بن النديم فى كتابه الفهرست مؤلفات فى السياسة قبل عصر الماوردى ولكنها لم تصل إلينا منها « تدبير الملك والسياسة والقضاء » لسهل بن هارون وكتاب الوزراء المطوق وكتاب « السياسة » لقدامة بن جعفر .

وقد تتابعت بحوث المسلمين بعد الماوردى فى السياسة فأبو بكر الطرطوشى (٥٢٠ هـ) له « سراج الملوك » والأحكام السلطانية لأبى يعلى الفراء (٤٥٨ هـ) وكتاب تحرير الأحكام فى تدبير أهل الإسلام للإمام بدر الدين جماعة والسياسة الشرعية لابن تيمية ، والطرق الحكمية فى السياسة الشرعية لابن القيم .

وتقف كتب الماوردى الساسية فى طليعة الكتب فى الفكر السياسى الإسلامى، لأن الماوردى خاض كتابتها وهو قريب من الخلفاء والملوك والوزراء وسفيراً بين خصومهم .ويذتهى بنا الماوردى إلى وضع قواعد عامة فى سياسة الدنيا تصلح بها وتنتظم أحوال أصحابها وهى :

١ — دين متبع : الدين يصرف الناس عن شهواتهم ، ويكون فيهم ضمائرهم ليكون رقيبا عليهم ، فيرتفع شأنهم ، ويهابهم عدوهم ، ولذلك لم يترك الله الناس منذ خلقهم من دين متبع ، ويستدل الماوردى بقول الله تعالى « أيحسب الإنسان أن يترك سدى » (القيامة : ٣٦) .

٢ — سلطان قاهر : فالسلطان القاهر يجمع القلوب المتفرقة ، وتمتنع من خوفه النفوس الظالمة، ويستند لقول النبي عليه السلام « إن الله ليزغ بالسلطان ما لايزغ بالقرآن » ولقول النبي أيضاً السلطان ظل الله فى الأرض يأوى إليه كل مظلوم) .

٣ — العدل الشامل : العدل يدعو إلى الألفة ويبعث على الطاعة وتزيد به الأموال ، ويأمن به السلطان ، ويروى قول الهرمزان رسول الفرس لعمر عند ما وجده نائماً تحت الشجرة : « عدلت فأمنت فنمت » ويستند لحديث النبى ﷺ : أشد الناس عذابا يوم القيامة من أشركه الله فى سلطانه فجار فى حكمه » .

٤ — أمن عام : الامن العام هو ما يطمئن إليه النفوس ، ويأنس به الضعيف ويسكن إليه البرىء فليس لخائف راحة ، ولا لحاذر طمأنينة ، فالأمن المطلق ما عم ، والخوف قد يتنوع تارة ، وقد يعم فتنوعه بأن يكون على النفس أو الاهل أو المال ، وقد يعم هذه الامور كلها .

٥ — الخصب الدائم . هو الذى يسع النـاس جميعاً فقيرهم وغنيهم ، وهو ما يطلق عليه حديثاً « الرخاء الاقتصادى » ويقول عنه أنه من أقوى الدواعى لصالح الدنيا ، وانتظام أحوالها ، فالخصب يؤدى إلى الغنى والغنى يورث الأمانة والسخاء ، كما أن الجدب يؤدى إلى الفساد ، والفساد يؤدى إلى الجدب ويقول الماوردى : أنه يهدف إلى خصب فى المكاسب ، وخصب فى المواد (الإنتاج).

٦ — أمل فسيح : فالأمل الفسيح هو ما يبعث الإنسان على اقتناء ما يقصر العمر عن استيعابه ، ويبعث على اقتناء ما ليس يؤمل فى دركه . بحياة أربابه ، فالإنسان يبنى ويحرث ويزرع لمن هو آت من بعده فيتم اللاحق ما بدأ به السابق[1] .

كتاب الوزراة :

يكتب الماورى كتاب الوزراة ويوجهه إلى أحد الوزراء ، فهو رسالة قبل أن يكون كتابا ، وليس من السهل معرفة إسم هذا الوزير يقينا ، والوزير فى هذه الرسالة ليس هو الملك أو السلطان ، فكلاهما بمثـابة رئيس الوزراء فى عصرنا ، كما أن أيا منها ليس الخليفة الذى هو رئيس الدولة بمفومنا الحاضر ، فالملك أو السلطان يعينه الخليفة ، وكان ملوك بنى بوية - فى عصر الماوردى - بأيديهم مقاليد الدوله كلها ، بل كان الملك هو الحاكم بأمره فى الدولة والخليفة.

يقول الماوردى فى بداية رسالته : وأنت أيها الوزير - أمدك الله بتوفيقه . فى منصب مختلف الأطراف ، تدبر غيرك من الرعايا ، وتتدبر بغيرك من الملوك، فأنت سائس مسوس ، تقوم بسياسة رعيتك وتنقاد لطاعة سلطانك ، وتعد هذه الرسالة من الرسائل الهامة فى الفكر السياسى الإسلامى ، فقد وضعت خصيصا لقوانين الوزارة .

---

(١) الماوردى : أدب الدنيا والدين ص

اصطلاح كلمة الوزارة :

يذهب المستشرقون إلى أن أصل اصطلاح « الوزارة » اصطلاح دخيل على الفكر الإسلامى قفز إليه من الفكر الفارسى ، كما يذهب بعض المفكرين المسلمين إلى أن الفكر السياسى الإسلامى كله : أصوله ونظرياته مقتبس من الفكر اليونانى . ونرى أن كلا من الاتجاهين قد جانبه الصواب. لقد ظهرت أهمية هذا المنصب منذ فجر تاريخ الإنسانية عند ما وجدت جماعة من البشر على أرض معينة ولزم لتدبير أمرها حاكم يسوس أمورها واحتاج الحاكم إلى من يعاونه عليها يقول ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع فى مقدمته « إن السلطان نفسه ضعيف يحمل أمرا ثقيلا فلا بد من الاستعانة بأبناء جنسه » (١) . ويبدو لنا أن أول من استخدم هذا المنصب هم المصريون القدماء ، وتشهد على ذلك آثارهم ، ففى إحدى صور المصريين القدماء ، نرى وزيراً يخرج من بيته فى الصباح الباكر يستمع إلى مظالم الفقراء ويصغى إليهم ولا يميز بين عظيم وحقير ويقول ول ديورانت : « إن الحكومة المصرية القديمة من إحسن الحكومات ، وكان الوزير على رأس الإدارة كلها يشغل منصب رئيس الوزراء ، وقاضى القضاة ، ورئيس بيت المال ، وكان الملجأ للمتقاضين لا يعلوه فى هذا إلا الملك... وانتقلت الحضارة المصرية القديمة بما تضمنته من مبادىء واتجاهات إلى الفينيقيين والسوريين واليهود وأهل كريت واليونان والرومان حتى أضحت جزء من من التراث الثقافى للجنس البشرى » (٢) . ومن هذا يمكن لنا ان نقول إن الحضارة

---

(١) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون تحقيق الدكتور على عبد الواحد وافى جـ ٢ ص ٦٠١ .

(٢) ول ديورانت : قصة الحضارة . جـ ٢ المجلد الأول ص ٩٢ .

الفارسية واليونانية هى التى تأثرت بالفكر المصرى القديم. ومما يؤكد وجهة نظرنا القرآن الكريم فى قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام « واجعل لى وزيراً من أهلى هارون أخى . اشدد به أزرى واشركه فى أمرى» (طه : ٢٩ ، ٣٠) فموسى كان فى مصر القديمة ، ولا يمكن أن يستخدم هذه الكلمة إلا ولها وجود فى العصر الذى يعيش فيه . وقد أجاب الله دعاءه فيقول تعالى سنشد عضدك بأخيك » (القصص : ٣٥) وأمرهما الله تعالى بقوله « إذهبا إلى فرعون إنه طغى (طه : ٢٤) . والحضارة المصرية القديمة تذهب فى أعماق التاريخ إلى سبعة آلاف عام ، وهى أقدم من الحضارة الفارسية واليونانية .

ويروى النبى ﷺ أنه قال « إنه لم يكن قبلى نبى إلا وقد أعطى سبعة رفقاء نجباء وزراء ، وإنى أعطيت أربعة عشر : حمزة ، وجعفر ، وعلى ، وحسن ، وحسين ، وأبو بكر ، وعمر ، والمقداد ، وعبد الله بن مسعود ، وأبو ذر ، وحذيفة ، وسلمان ، وعمار وبلال) (١) . وهذا يثبت أن النبى ﷺ استخدم هذه الكلمة ، بل ظهرت فى عدة أحاديث ، وكان للنبى سبعة وزراء من المهاجرين، وسبعة وزراء من الأنصار (٢) ، ويبدو أن النبى كان يستشيرهم ويسند إليهم بعض الأعمال .

واستخدم المسلمون الأوائل هذه الكلمة ، فعند ما التقى المسلمون فى السقيفة لاختيار خليفة رسول الله ﷺ . قال المهاجرون : نحن الأمراء وأنتم الوزراء). وفى طبقات ابن سعد أن أبا بكر كان وزيراً للنبى ﷺ . ويقول الطبرى : إن زياداً كان يسمى وزير معاوية .

---

(١) الإمام أحمد بن حنبل المسند تحقيق الأستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر الطبعة الرابعة ١٣٧٣ هـ ١٩٥٤ م مطبعة المعارف جـ٢ ص ١٢٦٤ .

(٢) المصدر السابق جـ ٢ ص ٦٦٧ .

وإذا نظرنا إلى كلمة وزراة من جهة الاشتقـــاق والاصطلاح ففيها عـدة أقوال :

أحدها : أنه من الوزْر وهو الثقل ، فالوزير يحمل الثقل عن رئيس الدولة ومنه قوله تعالى (ولكنا حملنا أوزاراً من زينة القوم فقذفناها « طه : ٨٧ ») أثقالا من أمتعتهم وحليهم . ومنه قول الله تعالى (حتى تضع الحرب أوزارها) (محمد : ٤) فيثقلكم .

الثاني : إنه مشتق من الإعانة ، فالوزير يعين الحـاكم على ما يثقل كاهله من من أعباء السياسة ، ومنه قوله تعالى : «واجعل لى وزيراً من أهلى هارون أخى ، اشـدد به أزرى) (طه ٢٩ - ٣٣١) يقول الماوردى : إن الإزر هو هو الظهير ، فالحاكم يقوى بوزيره كقوة البدن بظهره .

الثالث : إنه مشتق من الوزر وهو الملجأ ومنه قوله تعالى (كلا لاوزر) (القيامة : ١١) فرئيس الدولة يلجأ لرأى الوزير ومعونته (١) .

أن كلمة الوزير جامعة لهذه المعانى كلها ، فالوزير عون على الأمور، وشريك فى التدبير ، وظهير فى السياسة ، وملجأ عند النازلة . وهذه المعانى هى ما تهدف إليه الدساتير فى العالم .

أساس الحكم فى الاسلام :

إن أساس الحكم فى الاسلام هو الكتاب الكريم والسنة النبوية استنادا لقول النبي ﷺ (تركت فيكم ما إن تمسكتم بها لن تضلوا أبدا: كتاب الله ،وسنة رسول الله)

---

(١) الماوردى : كتاب الوزراة ص

فالله سبحانه وتعالى هو المنزل للقرآن . والله سبحانه وتعالى هو الخالق للبشر ، أعلم بما فيه خيرهم (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير-الملك - ١٤) ولم يوجه القرآن الكريم المسلمين صراحة إتباع نظام خاص ، وأسلوب معين فى نظام الحكم، ولكن القرآن الكريم وجه المسلمين إلى مبادىء عامة تصلح لكل زمان ومكان ، وترك الجزئيات لظروف كل بيئة حتى تحقق لهم المصالح وتدرأ عنهم المفاسد ، وقام النبى ﷺ ببيان وتطبيق تلك المبادىء فى جزيرة العرب فى فجر الإسلام ، كما حرص الخلفاء المسلمون الأوائل على الحفاظ عليها ، واتباعها من بعده ، وقد أشار الماوردى لها فى كتابه « قوانين الوزراة وسياسة الملك » وقبل أن يعرض لمبادىء وقوانين الوزارة يذكر الأساس الأول والجذر العميق الحامل لتلك القوانين والمتفرع منه تلك المبادىء وهو القرآن الكريم فيستفتح كتابه فيقول: (اعلم أيها الوزير إنك مباشر لتدبير ملك له أسس هو الدين المشروع ، ونظام هو الحق المتبوع). ثم يعرض لتلك المبادىء .

١ — العدل : إن غاية كل حكم هو تحقيق العدل والعدالة فى كل ما يتعلق بأمور الدولة فى الخارج والداخل يقول للوزير (إعلم أنك لن تستغزر موادك إلا بالعدل والإحسان . ثم يحصر مجالات ثلاثة للعدل) لا يخرج العدل عن تلك المجالات إلا وخرجت الأمة معه إلى حطام وضاع الحب بين الحاكم والمحكوم ، وذهب التآلف والتعاطف بين أفراد المجتمع ، وحل الصراع فيها . وهذه الأبعاد الثلاثة هى :

ا — عدل فى الأموال : وهو أن تؤخذ الأموال بحقهـــا ، وتدفع إلى مستحقيها .

ب — عدل فى الأفعال : وهى أن لا تعاقب إلا على ذنب .

جـ ـ عدل فى الأقوال : وهى أن تقف فى الحد والذم على حسب الاحسان والإساءة .

٢ ـ الشورى : إن هدف الشورى فى الإسلام ، هو الوصول إلى أمثل الحلول فى أى مشكلة من المشاكل تعترض الدولة سواء كانت هذه المشكلة داخلية أم خارجية ، وهى دعوة صريحة لاشراك الشعب فى حكم نفسه ، وتحمل مسئولية أعباء الحكم . كما أن الشورى دعوة صريحة للقضاء على الفردية والاستبداد والديكتاتورية . ويقصر الماوردى أهل الشورى على أصحاب الحل والعقد فى الأمة ، وهم المجتهدون والعلماء فى الأمة الإسلامية . واشترط الماوردى شروطاً ثلاثة فى أهل الشورى وهى :

ا ـ العدالة الجامعة لشروطها من الورع والأمانة والإستقامة .

ب ـ العلم الذى يتوصل به إلى معرفة من يستحق رئاسة الدولة على الشروط المعتبرة فيها .

جـ ـ الرأى والحكم المؤديان إلى اختيار من هم أصلح لرئاسة الدولة وبتدبير المصالح أعرف وأقوم .

ومن هنا يتضح لنا كيف يدعو الإسلام إلى « إختيار » رئيس الدولة عن طريق أهل الشورى . ولا يقصر الماوردى « أهل الحل والعقد » على اختيار رئيس الدولة . بل تتنوع أعمالهم طبقا لمتطلبات الأمة فيقول الماوردى « إن أهل الشورى يختلفون باختلاف الأرب المقصود » وهو ما يعرف فى العصر الحديث باسم « اللجان المتخصصة » .

٣ ـ التعيين فى الوظائف على أساس الكفاءة : أساس التعيين فى الإسلام هم أصحاب الكفاءة وليس هم أهل الولاء والقربى .

ومن هنا اشترط الماوردى فى تقليد الوظائف العامة ثلاثة شروط هى :

ا ـ الكفاءة التى تنهض بالعمل الموكول إليه .

ب ـ الأمانة التى يكف بها عن الرشوة والخيانة .

ج ـ الهيبة التى يطاع بها فى التنفيذ .

وهذا المنهج هو ما سار عليه النبي والأوائل من بعده . يقول النبي عليه السلام « من ولى من أمر المسلمين شيئا ، فولى رجلا وهو يجد من أصلح للمسلمين منه ، فقد خان الله ورسوله » .

٤ ـ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . إن جماع الدين وجميع الولايات هو « أمر » « ونهى » . فالأمر الذى بعث الله به رسوله هو الأمر بالمعروف والنهى الذى بعثه به هو النهى عن المنكر . وهذا نعت للنبي والمؤمنين . كما قال الله تعالى « والمؤمنين والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر : المائدة - ٧١ »

شروط التعيين فى الوزارة :

اشترط الفقهاء والمسلمون - بوجه عام - فيمن يتولى وظيفة من الوظائف العامة فى الدولة أن يكون متصفا بصفات هى : العدل - الأمانة - الكفاءة - كما اشترط الفقهاء المسلمون شروطا خاصة - أى مواصفات وكفاءات تتعلق بطبيعة كل وظيفة على حدة ، وإذا خرج الموظف عن تلك الشروط أصبح غير لائق لها . ومن هنا اشترط فيمن يتولى الوزارة شروطا خاصة بها وقصروها على من يتصف بها وهذه الشروط هى :

١ ـ الإسلام الحق : إن الله تعالى أمر بطاعة ولى الأمر واشترط القرآن

فى ولى الأمر أن يكون مسلماً لقول الله تعالى : « أطيعوا الله ، وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم . النساء : ٥٨ ، فقول الله « منكم » أى من المسلمين . كما أن مقتضى هذه الآية أن يعمل بأحكام الشريعة الإسلامية فى المسائل التى وردت بها نصوص صريحة ، ويرد المسائل المتنازع فيها إلى الكتاب والسنة . ويتطلب ذلك العلم المؤدى إلى الاجتهاد فى النوازل والى الحكم الإسلامى الصحيح وإلى الرأى السديد المفضى إلى سياسة الرعية وتدبير المصالح (١).

فكيف يمكن لمن لايؤمن بالشريعة الإسلامية أن يعمل بها ، وأن يعمل وفق نصوصها ، أو أن يجتهد فيها ؟

إن هذا الشرط يؤدى بنا إلى مسألة هامة تعرض لها الفكر السياسى الإسلامى القديم وهى : هل يجوز تعيين الذميين فى الوزارة ؟ .

فرق المسلمون الأوائل بين نوعين من الوزارة أحدهما : وزارة [تنفيذ] والثانية - وزارة [تفويض] . جوز الماوردى تعيين الذمى فى وزارة التنفيذ دون وزارة التفويض على أساس أن وزير التنفيذ لا يجوز له أن يتصرف وفق مشيئته ورغبته بل يتصرف فى حدود ما أمر بتنفيذه على عكس وزير التفويض الذى فوض له أن يتصرف وفق مشيئته ورغبته . وقد جعل الماوردى أربعة فروق بين الوزيرين :

أحدهما : يجوز لوزير التفويض مباشرة الحكم والنظر فى المظالم وليس ذلك لوزير التنفيذ .

الثانى : يجوز لوزير التفويض أن يستبد بتقليد الولاة وليس ذلك لوزير التنفيذ.

---

(١) الماوردى . الأحكام السلطانية ص٢٧ ، وأبو بكر العربى أحكام القرآن ج ٤ ص ١٦٣ .

الثالث : يجوز لوزير التفويض أن ينفرد بتسيير الجيوش وتدبير الحروب وليس ذلك لوزير التنفيذ .

الرابع : يجوز لوزير التفويض أن يتصرف فى أموال بيت المال بقبض ما يستحق له وبدفع ما يجب فيه وليس ذلك لوزير التنفيذ .

وقد هاجم بعض المفكرين المسلمين الأوائل تعيين الذمى الوزارة بوجه عام وكان على رأسهم الإمام أبو المعالى الجوينى إمام الحرمين (٤٧٨ هـ) فى كتابه « غياث الأمم » فيقول « وذكر مصنف الكتاب المترجم بالأحكام السلطانية أن صاحب هذا المنصب يجوز أن يكون ذميا ، وهذه عثرة ليس لها مقيل وهى مشعرة بخلو صاحب الكتاب عن التحصيل .(١)

٢ — الرجولة الراشدة : وهذا الشرط يتضمن شرطين أحدهما الرجولة دون الأنوثة والثانى الرشد ، يقول الله تعالى : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله به بعضهم على بعض: النساء - ٣٤» وبين الرسول عليه السلام أن هذه القوامة ليست قاصرة على البيت فحسب بل شاملة للولايات العامة فى الدولة ويستند الماوردى لقوله عليه السلام « لن يفلح قوم ولوا أمورهم إمرأة » ، ولقوله أيضا « إذا كان أمراؤكم شراركم ، وأغنياؤكم بخلاؤكم وأموركم إلى نسائكم فبطن الأرض خير من ظهرها » ، وقد تتطلب الإسلام الرشد فيقول الله سبحانه وتعالى « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما النساء - ٥ » ، كما أشار إلى سن الأربعين باعتبار أنها سن الرجولة الكاملة فيقول الله تعالى « حتى إذا بلغ أشده ، وبلغ اربعين سنة قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى: الاحقاب ١٥ » فى هذا السن يتم النضوج العقلى والاستقرار العاطفى وهى السن التى يوحى فيها الله لانبيائه ورسله يقول الاصفهانى : « إن الإنسان

---

(١) أبو المعالى الجوينى غياث الأمم مخطوط بالمكتبة التيمورية بالقاهرة .

إذا بلغ هذا السن يتقوى خلقه الذى هو عليه فلا يكاد يزايله بعد ذلك(١) » .

ويؤدى بنا هذا الشرط إلى سؤال هل يجوز تعيين المرأة فى الوزارة ؟ إن الوزارة تحتاج إلى رأى سديد وثبات عزم ، وهذا ما تضعف عنه النساء ، ومهما اختلفت الآراء فى تولية المرأة الوزارة أو عدم توليتها . فالواقع المشاهد الآن الذى لا شك فيه أننا فى مجتمعنا الدولى لا نجد إلا النادر القليل الذى جعل المرأة وزيرة حتى داخل المدنيات الغربية والأنظمة الماركسية التى تنادى بمساواة المرأة بالرجل على أساس أنها تشكل نصف السكان تقريبا فى أى دولة .

ومع هذا لا نجد هـــذا التناسب العددى يتقابل مع التناسب فى عـدد الوزراء فى أى دولة مهما قالت أنها تنادى بالمـساواة بين الجنسين ، ومهما بحثنا ونقبنا فى أى مجتمع بلغ أسمى درجات الرقى فلن نجد المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة فى الوظائف القيادية كرئاسة الدولة أو الوزارة أو المجالس النيابية أو القضائية أو غيرها .

وهذا يؤكد ويؤيد أن فكرة المساواة بين الجنسين دعوى بلا برهان ولا دليل ولا دوافع يؤيدها ولا تتفق مع الفطرة الإنسانية التى فطر الله الناس عليها .

٣ — عدم الاشتغال بالتجارة : يحذر على الوزير الاشتغال بالتجارة وينبغى أن يتمرغ لمنصبه ، ويؤيد الماوردى قوله بحديث سنده للنبى ﷺ يقول فيه « إذا اتجر الراعى أهلكت الرعية(٢) » .

٤ — العدل : إن العدل هو قوام الحكم ، فيجب أن يكون الوزير منصفا فيسلم الشعب من ظلمه وظلم غيره ، والوزير القائم بالحق والعدل يملك ظواهر

(١) الراغب الأصفهانى ـ المفردات فى غريب القرآن مطبعة الحلبى ١٩٦١ ص ٢٥٦
(٢) لم نقف عليه فى كتب أحاديث الصحاح .

القلوب وسرائرها ، أما إذا كان جائرا قاهرا فلن يستمر حاكما مهما استعمل من وسائل القهر ولن يملك من الرعية إلا التصنع والرياء والنفاق .

٥ — الامانة : أن يفي بما عليه ويستوفي ماله ، ولا يختزن لنفسه ، ولا يتقبل الهدايا التي تعطى له بحكم منصبه وإلا كانت رشوة مقنعة ، ويجب أن يكون قدوة صالحة في سلوك العاملين تحت رئاسته .

٦ — الكفاءة : وهي أن تترتب الأعمال على قواعـــدها السليمة ، وأن توضع الأمور في نصابها ، ولا يعرف الإسلام في الأعمال قربي أو ولاء ولكن يعرف قدرة وكفاءة يقول النبي عليه السلام « من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبة » ويقول عليه الســـلام في شأن الولاية العامة « إنها أمانة وإنها يوم القيامة خزى وندامة إلا من أخذها بحقها ، وأدى الذي عليه فيها » . لقد استقرأ الفقهاء المسلمون آيات القرآن الكريم وانتهوا إلى تلك الشروط التي اشترطوها في الوزير ومن هذه الآيات : الآية الجامعة للسياسة العامة العادلة والولاية الصالحة « إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به ، إن الله كان سميعا بصيرا ، يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ، وأولى الأمر منكم ، فان تنـــازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا : النساء : ٥٨ - ٥٩ » .

واشترط الفقهاء المسلمون - فوق ما قدمنا من شروط - سلامة الحواس والأعضاء ، والشجاعة والنجدة والمؤديان إلى الحفاظ على الدولة .

وقد سبق أن بينا أن الفقهاء المسلمين قسموا الوزارة إلى قسمين :

أحدهما : وزارة التفويض ويطلق عليها أيضا الوزارة المطلقة يكون فيها

اختصاص الوزير شاملا لكل أمور الدولة ، فرضه رئيس الدولة بالتصرف فيها وفق ما يراه من مصلحة .

وأما الثانية : وزارة التنفيذ ، ويطلق عليها الوزارة المقيدة ، وينفذ الوزير فيها ما يأمره به الحاكم فقط ، ويرجع لرئيس الدولة فى كل صغيرة وكبيرة . فهو منفذ وليس مفوضا ، ومن هنا تخفف الماوردى من شروط توليه الوزارة ، فلم يشترط فيها الإسلام ، وإن كان هاجمه بعض الفقهاء كأبى المعالى الجوينى .

ويقول الماوردى إن الغالب على سمة الحكم الإسلامى هى وزراء التفويض ، على العكس من ذلك ، كان سمة الحكم الفارسى هى وزراء التنفيذ . وهـــذا يجعلنا نقول إن الإسلام ليست فيه نزعة إستبدادية أو ديكتاتورية وإنما هى دعوى تتسم بالشورى والحرية والمشاركة فى مسئوليات الحكم .

عزل الوزراء :

يعزل الوزير إذا تحققت خيانته أو عجزه أو قصوره أو قلت هيبته أو وجد من هو أكفأ منه ، ويكاد أن يجمع الفقهاء مع الماوردى على أن العزل بغير سبب موهن للسياسة . وفى حالة العزل يهدم الوزير ما له وما عليه حتى يبرأ نفسه ، ويكشف أمره للناس جميعا ، ويحدد مسئوليته .

غاية الوزارة :

سبق أن بينا أن غاية الدولة عند الماوردى هو تحقيق مبادىء ستة : دين متبع ، وسلطان قاهر ، وعدل شامل ، وأمن عام ، وخصب دائم ، وأمل فسيح . إن هذه المبادىء تتجه كلها لتدبير أمور الدولة وتحقيق مصالحهـــا فى الداخل بتحقيق الأمن للأفراد ، والوفاء بحاجتهم فى العدل والتعليم والصحة والمواصلات ، وفى الخارج بالدفاع عنها وما يتطلبه الدفاع من إعداد العدة والقوة .

إن فى قمة أهداف الوزارة فى الدولة الاسلامية هو إقامة صرح الدين ونشره بين الناس والمحافظة على مبادئه ، وكل هدف فى الدولة الاسلامية إنما يتفرع عن هذا الهدف الأساسى وينبثق منه ، ويتحقق وفقا لأحكامه . بينما تقوم الأنظمة المعاصرة على استبعاد الدين ، ولاتوضع الغايات الدينية موضع الاعتبار إلا بما لها من أهمية فى الحياة الإجتماعية ، وتحاول تلك الأنظمة المعاصرة والقوى السياسية فيها أن تصل إلى القوانين والمبادىء الصالحة المؤدية لسعادة المجتمع ورفاهيته وقد تنجح تلك القوى السياسية وقد تفشل، وقد تتعرض الدولة لهزات عميقة وصراعات عنيفة، وتغييرات فى أسس الحكم بالثورات والانقلابات ولكن المنهج الاسلامى وضع الله مبادئه وقوانينه ، فالله هو المشرع والله خالق الناس ، فاتفق تشريعه مع فطر خلقه

---

(١) دكتور صلاح الدين دبوس : الخليفة توليته وعزله ص٦٧ إلى ص٨٠

(٣)
النســـخ

١ ــ نسخة الأمانة باستامبول .

نسخة الأساس بعنوان « كتاب الوزارة » .

واسم المؤلف : أبو الحسن على بن حبيب الماوردى .

تاريخ النسخ : ٨١٠هـ بخط جميل بجدول ـ نسخ بالتشكيل .

عدد الأوراق : ٧٢ ورقة مساحة ١٢ × ١٧٫٥ سم .

المكتبة أمانة : وهى خزينة مسلعقة بطوبقبو سراى استامبول .

رقم المخطوط : ١٣٤٥ .

وقد قام معهد المخطوطات العربية بتصويرها وهى تحمل رقم ٤٣ اجتماع وسياسة .

وهذه النسخة مهداة من إبراهيم الأنصارى إلى أحد الوزراء .

وقد وجه إليه أبيات من الشعر .

وزير العدل دمت عظيم جاه ٭ وطالعك العلا بالسعد مقرون

وتجلى السعد ذو مجد على ٭ وأنت به قرير العين مأمون

والصفحتان اليمين واليسار يحملان رقما واحدا وفى نهاية الصفحة اليمين بداية الكلمة من السطر الأول من اليسار وهو بمثابة المتابعة .

والصفحة متوسطها ثلاثة عشر سطرا ، كل سطر يتضمن تسع كلمات تقريباً .

وثابت فى صفحة ٧٢ يسار أنه وافق الفراغ من (نسخها) نهار السبت الرابع والعشرين من شهر ذى القعدة الحرام السنة عشرة وثمانمائة . ورمزنا إلى هذه النسخة برمز « ا » .

٢ — نسخة دار الكتب المصرية .

نسخة بعنوان « قوانين الوزارة » .

تأليف الشيخ الإمام العالم أبي الحسن على بن محمد الماوردى .

عدد الأوراق : ٢٤ ورقة زوجية حجم كبير .

تاريخ النسخ : العاشر من رجب المفرد الحرام ١٣٠٠ هـ .

كاتبها ومالكها : العالم اللغوى محمد محمود بن التلاميذ التركزى وقد أوقفها مالكها على عصبته من بعده .

كل صفحة من الكتاب بها ٢٥ سطراً ، وكل سطر فى المتوسط به عشر كلمات .

والكتاب بخط واضح ويقرأ ، وبه غير قليل من الشطب فى بعض المواضع ، كما أن فيه بعض الكلمات غير واضحة .

ونوع الورق ردىء وفى طريقه إلى الاستهلاك . وثابت فى فهرست المخطوطات التى طبعته دار الكتب المصرية سنة ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢ فى ص ٢٢٣ أن الكتاب اسمه : قوانين الوزراء تأليف أبي الحسن بن محمد بن حبيب الماوردى المتوفى سنة ٤٢٩ هـ مصورة بالفوسفات عن نسخة موجودة بآخر الجزء الثانى رقم ٥ نموش تحت رقم ٦٣٣٣ . وقد تبين على هذه أن هناك خطأ فالكتاب اسمه على المخطوطة « قوانين الوزارة » وليس الوزراء ، كما أن تاريخ وفاة الماوردى عام ٤٥٠ هـ وليس ٤٢٩هـ . ويرجع الخطأ إلى أن هناك ملحقا بهذا الكتاب باسم تحفة الوزراء للثعالبي المتوفى ٤٢٩ هـ . فاختلط الأمر على أمين المخطوطات . وقد رمزنا إلى هذه النسخة بالرمز « ب » .

٣ ـ نسخة مطبوعة تحت عنوان « أدب الوزير » بدون تحقيق فى مجموعة الرسائل النادرة ، العدد الخامس ، مطبعة الخانجى ١٩٢٩ ، وقد أشار الناشر صراحة أنه اعتمد على نسخة مخطوطة فى دار الكتب ضمن مجموعة من كتب العلامة الشنقيطى .

وهذه الطبعة بها كثير من الأخطاء وأضافات لا توجد فى النسخة الخطية المنقولة عنها ، وفيها تقـديم وتأخير : فنجد فى كتاب أدب الوزير فى ص ٢ .

ـ قال الإمام قاضى القضاة أبو الحسن وصحتها فى الأصل : قال القـاضى الإمام أقضى القضاة أبو الحسن .

ـ وعلى أوليائه البررة المنتخبين « وسلم تسليما كثيراً » ولا يوجد بالأصل تسليما كثيراً .

ـ مستظهر تستكفى اعتداد الاحسان إليك وصحتها بالأصـل مستظهرا المكتفى اعتداد « الإحسان إليك » .

وذلك كلة فى الصفحة الأولى من المخطوطة .

وهناك أخطاء تؤدى لنقيض المعنى واختلاله مثل :

ـ ص ٤٠ المطبوعة (إن الرأى يجب أن يظهر بالأفعال دون الأقوال ، لأن ظهوره بالفعل « ضرر » وظهوره بالقول خطار ـ فوضعت كلمة (ضرر) بدلا من كلمـــة (ظفر) ص ٥٠ من المخطوطة الرئيسية . ص ٤١ المطبوعة (أن « لا » يعمل مطالعة الملك بها ولا يؤخرها) فوضع الحرف (لا) زيادة فأتى بنقيض المعنى ـ ص ٢٥١ من المخطوطة الرئيسية .

— ص ٤٢ المطبوعة : (فلم يؤد الأمانة فى خبره ، وإن لم « يكن » فى مناصحته) فوضعت كلمة (يكن) بدلا من كلمة (يخن) فغمض المعنى ص ٥٢ ا من المخطوطة الرئيسية .

تسمية الكتاب إلى الماوردى :

بالرجوع إلى كتب التراجم وجدنا ابن تغرى بردى الأتاكى فى كتابه النجوم الزاهرة (١) وياقوت الحموى فى كتابه معجم الأدباء (٢) يقولان : إن للماوردى كتابا يسمى « قوانين الوزارة » . كما أن ابن خلكان فى كتابه وفيات الأعيان (٣) والسبكى فى كتابه طبقات الشافعية (٤) وطاش كبرى زاده فى كتابه مفتاح السعادة (٥) وجلال الدين السيوطى فى كتابه طبقات المفسرين (٦) وخير الدين الزركلى فى كتابه الأعـــلام (٧) يذكرون إن للماوردى كتابا يسمى « قانون الوزراة » .

والمخطوطة الأصلية التى هى تحت أيدينا يكتب ناسخها أن عنوان الكتاب هو « كتاب الوزراة » .

وننتهى إلى تسمية الكتاب كما هو وارد بالمخطوطة الأصلية « الوزراة » .

---

(١) جمال الدين أبو المحاسن بن تغرى بردى الأتاكى: النجوم الزاهرة جـ٥ ص ٦٤
(٢) ياقوت الحموى : معجم الأدباء طبعة دار الخامون جـ١٥ ص ٥٢ .
(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان المطبعة المنبرية جـ ١ ص ٤٦٣ .
(٤) السبكى : طبقات الشافعية جـ٥ تحقيق محمود الطناحى ص ٢٦٧ .
(٥) طاش كبرى زاده : مفتاح السعادة جـ ٢ ص ٣٣١ .
(٦) جلال الدين السيوطى : طبقات المفسرين ، طبعة ليدن ٢١٨٣٩ ص ٢٥ .
(٧) خير الدين الزركلى : الأعلام جـ ٢ الطبعة المصرية ص ٦٩٠

الوزارة

لأبى الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردى

المتوفى ٤٥٠ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

قال القاضي[1] الإمام أقضى القضاة : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري[2] ، تغمده الله تعالى برحمته[3] .

الحمد لله على ما هدى وأرشد ، وله الشكر على ما وفق وسدد ، وصلى الله على رسوله محمد النبي وآله وسلم[4] أما بعد :

فقد لزم[5] الطاعة من دعا إليها ، وفعل الخير من أرشد إليه، وإن[6] كانا في جبلة ذوي الفضل مركوزين ، فما يستغني الفطن بذكائه عن يقظة منبه، ولا يكتفي اللبيب بحزمه[7] عن عظة مذكر ، لأن الهوى معترض يخدع بغرامة، ويحجب[8] بغمامه .

مقدمات الوزارة

طبيعة منصب الوزير :

وأنت أيها الوزير ، أمدك الله بتوفيقه ، في منصب مختلف الأطراف ، تدبر غيرك من الرعايا ، وتتدبر بغيرك من الملوك [٣/ب] فأنت سائس مسوس،

---

(١) حـ : ناقصه .
(٢) ب ، حـ : محذوفه
(٣) ب ، حـ رحمه الله .
(٤) ب : وصلى الله على رسله الطاهرين ، وأوليائه البررة المنتخبين وفي حـ: زيادة « تسليما كثيرا » .
(٥) ب ، حـ : التزم .
(٦) ب ، حـ : لئن
(٧) أ : بحرفه
(٨) ب ، حـ : يحتجب

تقوم بسياسة رعيتك وتنقاد لطاعة سلطانك، فتجمع بين سطوة مطاع وانقياد مطيع، فشطر فكرك جاذب لمن تسوسه، وشطره مجذوب لمن تطيعه، وهـو أثقل الأقسام الثلاثة[1] محملا، وأصعبها مركبا، لان الناس مابين سائس، ومسوس، وجامع بينهما. ولك هذه الرتبة الجامعة.

فأنت تجمع ما اختلف من أحكامها، وتستكمل ما تباين[2] من أقسامها، وبيدك تدبير مملكة صلاحها مستحق عليك، وفسادها منسوب إليك. تؤاخـذ بالاساءة ولايعتد[3] لك بالاحسان. تلان لك المبادىء بالإرغاب، وتشدد عليك الغايات بالأعتاب مستظهرا، لتستلقى[4] اعتـداد الاحسان إليك، وتسلم من غب المؤاخـذة لك، ويلزمك ضدها فى حق سلطانك أن لاتعتدى[5] عليه بصلاح ملكه؛ لأنك [٤/أ] للصلاح مندوب، ولاتعتذر إليه من اختلاله، لأن الاختلال إليك منسوب. واجعل اعتذارك بسعيك واجتهادك، فلسان الفعال أنطق من لسان المقال، لظهور شواهده. فان عارضتك الأقدار عذرتك القلوب، وإن لم تنطق به الأفواه، لعجز الخلق عن قضاء الخالق[6]. وقد روى عن النبي ﷺ «لايغنى حذر عن قدر»[7]. وقيل فى منثور الحكم: «توق كل

---

(١) أ: الثلاثة، ناقصه. (٢) أ: مايأتى.

(٣) أ: ولاتعتد (٤) أ: لتاتى

(٥) ب، حـ: لايعتدى (٦) أ: الخق

(٧) حديث صحيح، رواه أحمـــد والحاكم وصححه عن عائشة مرفوعا، وأخرجه الديلمى بلفظ «لاينفع حذر من قـدر» العجلونى. كشف الخفاء حـ٢ ص ٥٢٢ والسيوطى الجامع الصغير ص ٣٤٠ والشيبانى: تمييز الطيب من الخبث ص ١٩٣، والقضاعى: شهاب الأخبار، مخطوط بمكتبة البلدية بالاسكندرية برقم ١٩٣٨ ق ٢٥ أ.

التوقى لا حارس من الأجل ، وتوكل كل التوكل ولا عذر فى التغرير ، واطلب كل الطلب ، ولا تسخط لما جلب القدر (١) . ولأن تكون "ملكت اختيارك متاركا فى زمان الكدر ، أولى من أن تكون مغالبا القدر ، فقد قيل فى منثور الحكم : « ما كان عندك معرضاً ، فلا تكن به متعرضاً » (٢) (٤ / ب) فإن دعاك الاضطرار إلى الملابسة ، فلن للزمان ولا تخاشنه ، فقد قال بعض الحكماء : « من سعادة الإنسان أن لا يكون عند فساد الزمان مدبراً للزمان (٣)» فسامح وقتك إن جار ، وغالطه إن ثار ، وكن كما قال الشاعر :

فاخط مع الدهر على ما خطا ٭ واجر مع الدهر كما يجرى

والله يمد بالمعونة من وفقه وأرجو أن تكون منهم .

اسس الوزارة

١ — الدين

واعلم أيها الوزير : إنك مباشر لتدبير ملك له أس هو الدين المشروع ، ونظام هو الحق المتبوع . وقد قيل : « منازع الحق مخصوم » (٥) فاجعل الدين قائدك ، والحق رائدك ، يذل لك كل صعب ، ويتسهل عليك كل خطب ، لأن

---

(١) ب ، حـ : « المقدور » (٢) الماوردى : أدب الدنيا والدين ص ١٠

(٣) الماوردى : الأمثال والحكم ق ٥٧ ، وأبو بكر الخوارزمى (٣٨٣ هـ) : مفيد العلوم ومبيد الهموم ص ٢٠٤ .

(٤) الثعالبى : التمثيل والمحاضرة ت عبد الفتاح محمد الحلو ص ٢٤٦

(٥) من وصية أو نهج لولده . مسكويه (٤٢١هـ) : الحكمة الخالدة تحقيق عبد الرحمن بدوى ، ط ١٩٥٢ ص ١٧ . وبيدبا الفيلسوف الهندى : كتاب كليلة ودمنة ص ١٣٢ ط ١٩٢٥ بمصر .

للدين أنصار ، وللحق أعواناً ، (٥ / أ) إن قعدت عنك أجسادهم ، لم تقعد عنك قلوبهم ، وحسبك أن يكون القلب معك . وقيل لبعض الحكماء : أى الخير أو فى ؟ قال : الدين قيل : فأى العدد أقوى ؟ قال . العدل » . (١)

وللدين سلطان قد انقادت إليه امامته ، واستقرت عليه دعامته ، فاجعله ظهيرا لك فى أمورك ، وعونا الك على تدبيرك ، تجد من القلوب خشوعا ، ومن النفوس خضوعا ، فما اعتزت بملكة اليه الإصالت ولاتحققت بشماره إلا طالت ، وقد روى عن النبي ﷺ أنه قال . « ما من رجل من المسلمين أعظم أجراً من وزير صالح مع امام يطيعه ويأمره بذات الله تعالى » (٢) واجعل لله تعالى (٣) عليك فى خلوتك(٤) رقيبي رغب ورهب ، تقودك الرغبة إلى طاعته ، وتصدك الرهبة عن (٥ / ب) معصيته ، ليسلم باطنك من العيوب ، ويخلص سرك من الذنوب .

---

(١) ب ، حـ . « أى الجند أو فى » وتنسب هذه الحكمة لأنوشروان ابن حجر العسقلانى الحكم الرائقة فى المواعظ الفائقة ، مخطوط ، ق ٧١ يسار .

(٢) حديث صحيح القضاعى (٤٥٤ هـ) . شهاب الأخبار ، مخطوط بمكتبة البلدية بالاسكندرية برقم ١٩٣٨ ب ٢٣٨٥ ب ، ورواه أبو داود وابن حبان فى صحيحة والنسائى عن عائشة رضى الله عنها بلفظ « إذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزير صدق إن نسى ذكره ، وإن ذكر أعانه ، وإذا أراد الله به غير ذلك جعل له وزير سوء إن نسى لم يذكره وإن ذكر لم يعنه » المنذرى . الترغيب والترهيب حـ ٣ ص ١٦٥ والجامع الصغير للسيوطى ص ١٦ .

(٣) زيادة فى ب ، حـ .

(٤) ب ، حـ : « خلواتك » .

العدل

وقد نفسك إلى العدل تنقد الناس إلى طاعتك (١) ، ويكفوا به عن معصيتك ويقتصروا عليه فى مطالبتك ؛ فإن من جازف فى الأخذ جوزف فى الطلب ، ومن ناصف نوصف ، والعرب تقول فى أمثالها . « دخل بيتا ما خرج منه » .

وقال عيسى بن مريم عليه السلام . « بالمكيال الذى تكتالون يكال لكم وتزادون » (٢) :

وقال الشاعر .

ومن ظن ممن يظهر السوء أنه .·. يجازى بلاسوء فقد ظن منكراً .

واعلم أنك لن تستغزر موادك الا بالعدل والاحسان ، ولن تستندرها (٣) بمثل الجور والاساءة ، لأن العدل استثمار دائم ، والجور استئصال منقطع وقد قيل (٦/١) فى منثور الحكم . « بالعدل والانصاف ، تكون مدة الائتلاف » (٤) وليس يختص العدل بالأموال دون الأقوال والأفعال .

---

(١) ب ، حـ . ينقد الناس به إلى طاعتك .

(٢) الكتاب المقدس . العهد الجديد ، انجيل متى ، الاصحاح السابق الآية ٢ وليس فى النص (تزدادون) وابن قتيبة . عيون الأخبار ، المجلد الثانى ص ٢٧١

(٣) (ب) ، جـ . « تستنبدرها » ومعنى تستندرها ـ تجد المال قليلا ـ التمثيل والمحاضرة الثعالبي ص ٤٦ .

(٤) الماوردى . أدب الدنيا والدين ص ٥٩ وابن عبد ربه . العقد الفريد ، حـ ١ ص ١٧ .

العدل فى الأموال :

فعدلك فى الأموال (١) ، أن تؤخذ بحقها ، وتدفع إلى مستحقيها ، لأنك فى الحقوق سفير مؤتمَن ، وكفيل مرتهن ، عليك عزمها ولغيرك غنمها .

العدل فى الأقوال :

وعدلك فى الأقوال ألا تخاطب الفاضل بخطاب المفضول ، ولا العالم بخطاب الجهول ، وتقف فى الحمد والذم على حسب الإحسان والإساءة ، ليكون إرغابك وإرهابك على وفق أسبابهما من غير سرف ولا تقصير ، فلسانك ميزانك فاحفظه من رجحان ونقصان (٢) . وقد قال بعض الحكماء : « جعل الله الإنسان أفضل الحيوان ، وصير أفضل جارحة فيه اللسان ، فجعله للضمائر ترجمانا ، ولما جمعته العقول (ب) والبصائر تبيانا ، وبين الحق والبـــاطل فرقانا » (٣) . ولقد قال الأحنف بن قيس (٤) . « النطق مسفرة والصمت مستّرة » . وللكلام روية تتقدم

---

(١) ب ، حـ : (بالأموال) . (٢) ب ، حـ : (أو نقصان) .

(٣) من هؤلاء الحكماء أرسطوطاليس بلفظ « إنما فضل النـاس على البهائم بالمنطق ، فأحقهم بالإنسـانية أبلغهم منطقـا ، وأوصلهم إلى عبـارات من ذات نفسه بالإيجاز » ابن نباته المصرى (٧٦٨هـ) : سرح العيون فى رسالة ابن زيدون ، تحقيق محمد أبى الفضل ، دار الفكر العربى ص ٢١٢ .

(٤) ترجمته هو صخر بن قيس بن معاوية بن حصين بن عبادة ، يكنى أبا بحر ، ولقب بالأحنف لإصابته فى قدمه ، من قبيلة تميم ، حكيم عاقل ، أدرك الرسول ولم يره ، ويعده ابن عبد البر من الصحابة . ابن قتيبة المعارف تحقيق محمد اسماعيل الصـاوى ، ط ١٩٣٤ ص ١٨٦ ، ١٨٧ وابن عبد البر : الإستيعـاب جـ ١ ص ١٤٤ ، ١٥٥ : وابن نباته : شرح رسالة ابن زيدون ص ١٠٤ / ١١٢ ، والذهبى : شذرات الذهب جـ ١ ص ٧٨ .

على المعانى دون الألفاظ ، فكل المعانى إلى رويتك ، وفوض الألفاظ إلى بديهتك ، فإن ابتكار المعانى خطر والرويه فى الألفاظ لكنه (١) .

ولأن يكون الكلام مطبوعا ، أولى من أن يكون مصنوعا (٢) . إلا أن يكل الخاطر بشوائب الهموم . ويكون الكلام مع ذى قدر عظيم ، فيروى فى الاختصار ، ففى الإكثار عثار ، يفضى إلى ضجر إن استرذل وإلى ملل إن استثقل . وقد قيل : أول العي (٣) الاختلاط ، وأسوأ القول الإفراط » . ولذلك قيل : الحصر خير من الهذر ، لأن الحصر يضعف الحجة . والهذر يتلف المهجة . (٧/ ١) وقال عبد الحميد (٤) : « العاقل للسانه عاقل » . وقيل فى منثور الحكم : « إذا تم العقل نقص الكلام » (٥) .

---

(١) ب ، حـ : لكن .

(٢) والاختلاط معناه الغضب ب ، حـ : « أن » ناقصة .

(٣) فى أ : « العي » والنص لدى العسكرى : جمهره الأمثال ط ١٣١٠ هـ ص ١ .

(٤) ترجمته : هو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد العامرى نشأ بالأنبار ، ويعد من أعلام البلاغة العربية ، مات مقتولا فى سنة ١٣٢ هـ . ويشير الثعالبى إلى أن القول للمعتز : التمثيل والمحاضرة ص ٤٠٨ .

أبو بكر الخوارزمى : مفيد العلوم ومبيد الهموم ط المكتبة السعيدية دون تاريخ ، ص ٢٠٤ من غير نسبة .

(٥) من أقوال الامام على بن أبى طالب (نهج البلاغة) تحقيق محمد حسن نائل المرصفى جـ ٢ ص ١٩٩ والماوردى : أدب الدنيا والدين طبعة ١٣٢٠ هـ ص ١٢٤ ، والميدانى : مجمع الأمثال جـ ٢ ص ٣٧٤ .

العدل فى الأفعال :

وعدلك فى الأفعال أن لا تعاقب إلا على ذنب. ولا تعفو إلا عن إنابة، ولا يبعثك السخط على أطراح المحاسن ، ولا يحملك الرضا على العفو من المساوئ حكى عن سليمان بن داود عليهما السلام أنه قال : « وأعطيت ما أعطى الناس وما لم يعطوا ، وعلمت ما علم الناس ومالم يعلموا . فلم أعط شيئا أفضل من الحق فى الرضا والغضب ، والقصد فى الغنى والفقر ، وخشية الله فى السر والعلانية » (١) وقد قال بعض الحكماء : « من سكرات السلطات الرضا عن بعض من يستوجب السخط ، والسخط على بعض من يستوجب الرضا » (٢)

(ب) وكالاتستوى الحسنة ولا السيئة ، كذلك لا يستوى المحسن والمسئ . وقد قيل : « أخبث الناس ، المساوى بين المحاسن والمساوئ » . (٣) فاجتذب (٤) بأفعالك ما ناسبها ، وقابل بمجازاتك ما أوجبها ، واجعل جزاء الأفعال بحسبها إحسان واساءة ، يستوجب بها ثواب وعقاب ، فإن لميلك ورضاك حكما (٥) سواء . إن وصلت عليه خرجت عن المجازاة إلى التبرع بالصلة ، وأنت فى تبرعك

---

(١) فى أ « عليه السلام » والنص فى كتاب الزهد للامام أحمد بن حنبل ص ٣٩

(٢) بيدبا الفيلسوف . كليلة ودمنة ترجمة عبدالله بن المقفع ص ط ٧٧ دار المعارف سنة ١٩٤٧ واليمنى . مضاها . أمثال كتاب لكليلة ودمنه بما أشبهها من أشعار العرب ط بيروت ص ١٥ - وينسب ابن حمدون (٥٦٢ هـ) فى كتاب تذكرة ابن حمدون : السياسة والآداب المالكية إلى سهل بن هارون ص ٤٩ طبعة ١٩٢٥ م بمصر .

(٣) من عهد لسابور بن أردشير لابنه. الجيشهارى (٣٣١ هـ): الوزراء والكتاب تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الأبيارى وعبد الحفيظ شلبى ، ط الحلبى ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨م ص ٧ والمسعودى (٣٤٦ هـ) مروج الذهب ص ٢٠٢

(٤) أ : « فاجذب » (٥) رضاك زيادة فى ب ح .

بخير ، وفى مجازاتك مضطر ، وقد قال الحسن البصرى[1] « المؤمن لا يحيف على من يبغض ، ولا يأثم فى من يحب .

(٣) - تولية الأكفاء : فأما التقريب والابعاد فيجوز أن يعتبر بالسخط والرضا ، إذا لم تحط بها ذوى الأقدار ، وترفع بها أهل الخمول ، لأن لك خيارك أن تبتدئ بتقريب من أردت وإبعاد من كرهت . (٨ / ا) إذ سلم رأيك من تقريب ذوى النقص وإبعاد ذى الفضل ، فتستطر[2] بتقريب الناقص وإبعاد الفاضل ، وإن كان التشاكل مركوزا فى الغرائز ، وقد قال بعض البلغاء : « لا تصطنع من خانه الأصل ولا تستصحب من فاته العقل ، لأن من لا أصل له يغش من حيث ينصح ، ومن لا عقل له يفسد من حيث يصلح » . [3] وذلك مما يعسر توقيه ، ويفوت تداركه وتلافيه .

(٤) - الوفاء بالوعد والوعيد : وليكن وفاؤك بالوعد حتما ، وبالوعيد حزما لأن الوعد حق عليك ، والوعيد حق لك على غيرك ، فكنت فيه على خياريه ، فمن أجل ذلك لم يجز اخلاف الوعد ، وان جاز اخلاف الوعيد ، وقد قال أحد الشعراء : (٨ / ب).

---

(١) ترجمته : كان من علماء التابعين جمع بين العلم والعمل والعبادة ، وكان أحد كبار أئمة عصره وامام البصرة تتلمذ عليه كبار الفقهاء والمتكلمين المسلمين توفى ١١٠ هـ ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ ٧ ص ١٥٦ / ١٧٨ وأحمد بن حنبل الزهد ص ٢٥٨ / ٢٨٩ وابن الجوزى : الحسن البصرى ، وإحسان عباس الحسن البصرى ط دار الفكر العربى والنص فى ابن قتيبه : عيون الأخبار المجلد الثالث ص ١٠ وفى الأمثال والحكم ، مخطوط ، للماوردى ٢٧ ا (٢) ب جـ « تستطر » . (٣) الماوردى : الأمثال والحكم ق ٣ ا (م ٣) .

وإنى وإن أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادى ومنجز موعدى

لكن ينبغى أن يقترن بخلف الوعيد عذر حتى لايهون وعيدك ليكون نظام الهيبة به محفوظا . وقانون السياسة فيه مضبوطا ، فأظهره إن خفى لتكون باخلاف وعيدك معذورا ، وبعفوك عنه مشكورا ، وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال : « ما ازداد أحد بالعفو إلا عزا » (٢) . وللوعد والوعيد شرطان . أحدهما . أن يكونا مستحقين ما أوجبهما من احسان واساءة ، والثانى ، أن تقترن بتقديمهما على الثواب والعقاب مصلحة فى ترغيب وترهيب ، فإن لزم تقديم الثواب والعقاب على الوعد والوعيد كان الوعيد تقصيرا والوعيد عجزا . وقد قال بعض الحكماء: « الوعد مرض المعروف ، والانجاز برؤه ، والمطل تلفه » (٣) . وقال بعض البلغاء: « إذا أحسنت القول

---

(١) أنشده أبو عمرو بن العلاء راجع ابن قتيبه : عيون الأخبار ، المجلد الثانى حـ ٥ ص ١٤٢ الهامش .

(٢) حديث حسن صحيح ، رواه أحمد والترمذى بلفظ « ثلاث أقسم عليهن وأحدثكم حديثا فاحفظوه » قال . ما نقص مال عبد من صدقة ، ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله عزا ، فاعفوا يعزكم الله ، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر أو كلمة نحوها » المنذرى: الترغيب والترهيب حـ٢ ص ٢٠٨ ٢٠٩ كما رواه البزار بطريق لابأس به ورواه الطبرانى فى الصغير والأوسط من حديث أم سلمه « ولا عفا رجل عن مظلمة إلا زاده الله بها عزا ، فاعفو يعزكم الله » نفس المصدر ، ويرى السيوطى أنه ضعيف بالجامع الصغير ص ١٢٤ .

(٣) ابن مسكويه (٤٢١ هـ) الحكمة الخالدة (جاويدان خـــرد) ت د. عبد الرحمن بدوى ، ط ٢ ، ١٩٥٢ م ص ١٥٠ ، من حكم العرب الثعالبى : تمثيل والمحاضرة ص ٤١٨ .

فأحسن الفعل »(١)، ليجتمع لك (٩١) مزية اللسان وثمرة الاحسان. فإنك لاتخلو فى خلفه من ذنب تكتسبه أو عجز تلتزمه. وليكن فعلك أكثر من قولك، فان زيادة القول على الفعل دناءة وشين، وزيادة الفعل على القول مكرمة وزين، ولا تجعل لغضبك سلطانا على نفسك يخرجك من الاعتدال إلى الاختلاف، فلن يسلم بالغضب رأى من زلل، وكلام من خطل، لأن ثورته طيش معر، ونفرته بطش مضر، لأنه يخرج عن التأديب إلى الانتقام، وعن التقويم إلى الاصطلام(٢). ولذلك قيل: أول الغضب جنون، وآخره ندم »(٣). وقال ابن عباس(٤): « لم يمل إلى الغضب، إلا من أعياه سلطان الحجة ». وقال بعض السلف: « إياك وعزة الغضب، فانها تفضى بك إلى ذل الاعتذار »(٥). وقال

---

(١) ابن قتيبه: عيون الأخبار، المجلد الثانى ص ١٧٠ والماوردى: أدب والدين ص ١٢٥، ١٢٦.

(٢) الاصطلام: الاجتثاث هو القطع لابى قدامه ابن جعفر: جواهر الالفاظ تحقيق محمد محى الدين ص ٢١٩.

(٣) من أقوال ابن المعتز الثعالبى (٤٢٩ هـ): التمثيل والمحاضرة تحقيق عبد الفتاح الحلو ص ٤٥٠.

(٤) ترجمته: ابن عباس: ابن عم رسول ﷺ. ولم يشتهر فى التفسير أحد مثله. ولقبه رسوله الله بترجمان القرآن وتوفى ٦٨ هـ بالطائف وصلى عليه ابن الحنفية.

(٥) الماوردى: أدب الدنيا والدين ص ١١٤ والغزالى: أحياء علوم الدين جـ١ ١٩٣٣ م ص ١٤٤ والقول لعبد الله بن عمر الحكم الرائقة للعسقلانى مخطوط ٤٠

(٦) الجاحظ: البيان والتبين تحقيق عبد السلام هارون ط٣ للخانجى جـ ٢ ص ١٨٨، وابن حبان البستى: روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص٥ والماوردى: أدب الدنيا والدين ص ١١٣.

بعض الحكماء : « من كثر شططه كثر غلطه »(١) . [ص ٩ / ب] وقال بعض الشعراء :

ولم أر الأعداء حين اختبرتهم ٭ عدوا لعقل المرء أعدى من الغضب(٢)

وليكن غضبك تغاضبا ، تملك به عزمك ، وتقوم به خصمك ، فتسلم من جور غضبك ، وتقف على اعتدال تغاضبك . فقد قيل فى بعض صحف بنى إسرائيل : « إذا كان الرجل ذا غضب تواترت عليه الوضائع فكلما اشتد غضبه ازداد بلاء » . وقال بعض الحكماء : الغضب يصدأ العقل »(٣) . وكتب كسرى ابرويز إلى إبنه شيرويه : « إن كلمة منك تسفك دما ، وإن أخرى منك تحقن دما ، وأن نفاذ أمرك مع ظهور كلامك ، فاحترس فى غضبك من قولك أن يخطىء ومن لونك أن يتغير ، ومن جسدك أن يخف ، فإن الملوك تعاقب قدرة وتعفوا حلما »(٤) (١١/ أ) وقد يقترن اتباع الرأى بالغضب لجاج يساويه فى معرته ، ويشاركه فى مضرته ، لأن اللجاج التزام الخطأ وإطراح الثواب . فدع

---

(١) الجاحظ : البيان والتبين تحقيق عبدالسلام هارون طبعة ٣ الخانجى جـ ٢ ص ١٨/ ، وابن حبان البستى . روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص٥ . والماوردى: أدب الدنيا والدين ص ١١٣ :

(٢) البيت للكريزى راجع البستى : روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص ١٣٩ .

(٣) إبن المعتز . الثعالبى : التمثيل والمحاضرة ص ٤٥ .

(٤) ابن قتيبة : عيون الاخبار ، المجلد الاول جـ ٢ ص ٢٨٨ . والماوردى: أدب الدنيا والدين ، ص ١١٤ . وكسرى إبرويز ابن هرمز بن كسرى أنوشران عامل رعيته بالعنف ، وقتل قتلة أبيه ، وامسك عن الإنفاق وغزا الشام وبلغ مصر ، وحاصر ملك الروم بقسطنطينة ، وطالت مدته حتى ضجر الناس فخلعوه بعد ثمان وثلاثين سنة ، وسملت عيناه وقتله ابنه شيرويه .

عنك لجاج الألد الخصم ، وتجنب عواقب النذل الفدم(١) ، وتابع الرأى فيما اقتضاه ، فلن يقبح بك العدول إليه بعد لجاجك ، ولأن تنتفع بالرى أولى من أن تستمر (٢) باللجاج . وقد قال بعض الحكماء : « من استعان بالرأى ملك ومن كابد الأمور هلك » (٣) وقال بن المقفع : دع اللجاج فإنه يكسر عزائم العقول ، (٤) وقيل فى منثور الحكم : « الظفر لمن احتج لا لمن لج » وقيل فيه : « اللجوج يدخل فيما ليس منه خروج » .

٥ — الجد والحق والصدق :

واعلم أن الجد والهزل ضدان متنافران لأن الجد من قواعد الحق الباعث على الصلاح . والهزل من مرح الباطل الداعى إلى الفساد ، فصار فرق مابين الجد والهزل (١٠ / ب) وهو فرق مابين الحق والباطل ، وتنافر الأضداد يمنع من الجمع بينهما ، فإذا انفردت بأحدهما كنت للآخر تاركا . وقد قيل : « الحق مفروض والباطل مرفوض » (٥) . وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه (٦) : « العقل حسام قاطع ، والحلم غطاء سابغ » فقاتل هواك بعقلك ، واستر خلل

---

(١) الفدم : الأحمق الطائش قدامه بن جعفر : جواهر الألفاظ ص٢٧٥ .

(٢) ب ، حـ « تستضر » .

(٠) من أقوال الإمام على بن أبى طالب ، جوامع الكلم لعبد الواحد محمد الشيمى ص ٥٤ .

(٤) عبد الله بن المقفع : الأدب الصغير تحقيق أحمد زكى ، ط ١٣٢٩هـ = ١١٩١م ص ٢٨ واللجاج شدة الخصومة من غير حق .

(٥) أبو بكر الخوارزمى : مفيد العلوم ومبيد الهموم طبعة المكتبة السعيدية ص ٢٠٤ .

(٦) ا ، : (رضوان الله عليه) .

خلقك بحلك واستعمل الجد ينقد إليك الحق ويفارقك الباطل ، ولقل ما اشتملت هيبة الجاد أو تكاملت هيبة الهازل ، والهيبة أس السلطة .

وحكى عمرو بن مره أن رجلا من قريش قال لعمرو بن الخطاب رضى الله عنه «لن لنا . فقد ملأت قلوبنا هيبة . فقال أفى ذلك ظلم ؟ قال : لا قال : فزادنى الله فى صدوركم مهابة [1] وقال حكيم الهند (ص ١١ / ١) . « ليكن فيك مع طلاقتك تشدد ، كيلا يجترأ عليك بالطلاقة ، وينفر منك بالتشدد» [2] . فأما الهزل فيكون من سخف أو بطر يجل عنهما من ساس الرعايا ، ودبر الممالك » . قال بزرجمهر : « الهزل آفة الجد ، والكذب عدو الصدق ، والجور مفسدة الملك» [3] . وقال ملك الهند للاسكندر ، وقد دخل بلاده : ماعلامة دوام الملك؟ قال : الجد فى كل الأمور . قال فما علامة زواله ؟ قال : الهزل فيه » [4] . وقد قيل : « من أبطرته النعمة وقره زوالها » [5] . وليس الكبر والعنف جدا ، ولا

---

(١) ابن الجوزى (٥٩٧ هـ) : سيرة عمر بن الخطاب طبعة الدار القومية ص ٩٥ .

(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد جـ ١ ص ١٩ . « أسوس الناس لرعية من قاد أبدانها بقلوبها ، وقلوبها بخوطرها ، وخواطرها بأسبابها من الرغبة والرهبة والحسن بن عبد الله (٧٠٨هـ) : آثار الأول فى ترتيب الدول . طبعة ١٢٩٥هـ ص ١٣ .

(٣) ابن مسكويه : الحكمة الخالدة ص ١٢ .

(٤) ابن قتيبة . عيون الأخبار ، المجلد الال ص ١٠ .

(٥) الماوردى : الأمثال والحكم مخطوط ق ٥٣ وابن حمدون (٥٦٢هـ) . تذكرة ابن حمدون السياسة والآداب الملكية طبعه ١ ٠ ١٩٢٧م ص ٢٧ ويسند القول إلى موسى بن جعفر .

التواضع واللطف هزلا ، وربمـــا تدلست هذه الأخلاق بغلبة الهوى ونازع الفطرة ، فمزج صاحبها بالجد كبراً وعنفـا (١) . ليكون بهيبة الجد أحق ، ومن سخف الهزل أبعد ، وهذا غير محسوس ، لأن الكبر والتواضع من شيم النفوس كالسخاء والبخل والجد (ص ١١ / ب) والهزل من أفعالهـا كالحق والباطل فتباعدا فى السبب واختلفا فى المسبب .

وقد روى عن النبي ﷺ أنه قال « إذا أراد الله بعبد خيراً جعل له واعظا من نفسه (٢) . وقيل فى منثور الحكم : «إذا عرفت نفسك لم يضرك ماقيل فيك» وربما استكد الجد خاطر الجد ، فاستروح ببعض الهزل ليستعين به على مصابرة الجد . فقد قيل فى منثور الحكم : «الهم قيد الحواس» (٣) . وحكى عن أبى الدرداء أنه قال : « إنى لأستجم نفسى بالشىء من الباطل ، ليكون أقوى لها على الحق » (٤) . وقيل فى منثور الحكم : « ما أكثر من نهى فأغرى» فلا بأس أن

---

(١) فى ا أو عنفـاً .

(٢) حديث حسن ، قرر الحافظ العراقى بأن إسناده جيد ، وجزم به ابن قدامه فى كتابه المغنى كما يقرر المنياوى ، ويرى السيوطى بأن الحديث ضعيف الجامع الصغير جـ ١٦ وفيض القدير جـ ١ ص ٢٥٦ ورواه الديلمى فى الفردوس العجلونى : كشف الخفا جـ١ ص ٨١ .

(٣) أبو بكر الخوارزمى : مفيد العلوم ومبيد الهموم ص ٢٠٥ .

(٤) ترجمته : أبو الدرداء الخزرجى ، زاهد حكيم ، أسلم بعد بدر ، وولى قضاء دمشق لمعاوية . وتوفى فى خلافة عثمان ٣٢ هـ الذهبى شذرات الذهب جـ ١ ص ٣٩ وابن قتيبة : طبعة المعارف ص ١١٦ والجوزى صفوة الصفوة جـ ١ ص ٢٥٧ — ٢٦٥ والنص فى ابن المبرد . الكامل فى اللغـة والأدب ، طبعة المكتبه التجارية جـ ٢ ص٢ .

يستطر منه فى زمان راحته ، وأوقات خلوته بمقدار دوائه من دائه ، فإن الكلام ملال ، وليس للملول حزم ولا عزم ، وليكن (ص ١٣ / أ) فيما يقال به من الهزل محافظا على دينه وصيانة مروءته ويخرج هذا القدر عن حكم ماذم من الهزل ، لأنه عون على ما يحمد من الجد ، كما قال الشاعر :

أفد طبعك المكدود بالجد راحة ✽ وعلله بشىء من المـــزح
ولكن إذا أعطيته المزح فليكن ✽ بمقدار مايعطى الطعام من الملح(١)

وكلما تنافر الجد والهزل ، كذلك الصدق والكذب ، ضدان متنافران تختلف عللهما ، وتفترق نتائجهما . فالصدق من لوازم العقل ، وهو أس الدين ، وتوأم الحق . والكذب من غرائز الجهل ، وهو زور يقترن بغرور ، إن التبست أوائله انتهكت (٢) أواخره . وإن جر التباسه نفعا ، عاد انتهاكه ضررا ، فلم يسلم من (١٢ / ب) معرة زور ، ومضرة غرور . وقد روى عقبة بن عامر عن النبى ﷺ أنه قال : « أعظم الخطايا اللسان الكذوب » (٣) وقال عمر بن الخطاب

---

(١) قاله السبكى أنظر مخطوطة سياسة الرعية بالعدل والمنن ، غير معلوم برقم ٣٨٧٠ جـ . مكتبة محافظة اسكندرية

(٢) ب ، حـ : انهتكت . (٣) حديث مقبول ، القضاعى (٤٥٤ هـ) : شهاب الاخبار مخطوط ، ١٩٣٨ ، د ، ق ١٣٥ بلفظ من أعظم الخطايا ... ، وضعفه السيوطى فى رواية ابن عدى فى الكامل وابن لال عن ابن مسعود عن ابن عباس رضى الله عنه السيوطى الجامع الصغير ص ٤٢ ورواه ابن عدى من حديث أبى بكرة مرفوعا بلفظ « إياكم والكذب فإنه مجانب الإيمان » وقال الدار قطنى إنه موقوف الشيبانى : تمييز الطيب من الخبيث ص ١٠٦ ورواه أصحاب السنن عن ابن مسعود بلفظ « إياك والكذب فإن الكذب يهدى للفجور » العجلونى : كشف الخفاء جـ ١ ص ٣٢٤ والقول لعبد الله بن مسعود راجع الجاحظ : البيان والتبيين تحقيق عبد السلام هارون ط ٣ جـ ٢ ص ٥٧ .

رضى الله عنه : « لأن يضعنى الصدق ـ وقلما يفعل ـ أحب إلى من أن يرفعنى الكذب ـ وقلما يفعل »(١) . ووجدت لسليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام فى سفر حكمته أنه قال : « الذى يلج بالكذب يرعى الرياح » . وهذا من أوضح الأمثال بيانا وعيانا .

---

(١) الماودى : أدب الدنيا والدين .

فصـــل

فى معنى الوزارة

وإذا مضت [1] هذه الفصول فى مقدمات الوزاره فاسمها مشتق من معناها .

اشتقاق معنى الوزارة :

واختلف فيه على ثلاثة أوجه :

أحدها : إنه من الوزر . وهو الثقل ، لأنه يحمل عن الملك أثقاله . [2]

الثانى : إنه مشتق من الأزر ، وهـــو الظهر لأن الملك يقوى بوزيره كقـوة البدن بظهره [3] .

والثالث : (١٣ / ١) إنه مشتق من الوزر وهـو الملجأ ومنه قوله تعالى : (كلا لا وزر) [4] ، أى لا ملجأ . لأن الملك يلجأ إلى رأيه ومعونته [5] ، لأن

---

(١) ا . (وإذا قد) .

(٢) ابن قتيبة . عيون الأخبار حـ . ص ٥٠ ، الثعالبى . تحفـــة الوزراء ، مخطوط ٢ ، والحسن عبد الله . آثار الأول فى ترتيب الدول ص ٦٢ والفيومى . الدر فى آداب الوزير ى . ا

(٣) الماوردى . الاحكام السلطانية ٢٤ وأبو يعلى الفراء الأحكام السلطانية تحقيق محمد حامد الفقى ص ١٣ وابن طلحة العقد الفريد للملك السعيد ص ١٤٤ .

(٤) سورة القيامة . الآية ١١

(٥) يقول الماوردى فى كتابه الاحكام السلطانية ص ٤٤ ان جميع المعانى المشتقة من كلمة (وزر) نتيجة إلى أن الحاكم ليس له أن يكون مستبدا وحده بأمور الدولة .

عليه مدار السياسة واليه تفوض الأموال . وقد قال بعض ملوك الفرس : « الوزراء ساسة الأعمال وحازة الأموال »[1] .

أنواع الوزارة :

وإذا كان كذلك فالوزارة ضربان :

وزارة تفويض ، تجمع بين كفايتى السيف والقلم[2] .

ووزارة تنفيذ ، تختص بالرأى والحزم .

ولكل منها حقوق وشروط .

وزارة التفويض .

فأما وزارة التفويض الجامعة بين كفايتى السيف والقلم ، فهى أعم نظرا وأنفذ أمرا . وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال . « خلق الله الدنيا للسيف والقلم ، وجعل السيف تحت القلم » . [3]

(١٣ ب) وهذه الوزارة[4] : هى الاستيلاء على التدبير ، والعقد (١٣ ب) ،

---

(١) الجيشهارى (٣٣١ هـ) . الوزراء والكتاب ص ٤ .

(٢) الماوردى الأحكام السلطانية ص٢٢ وزارة التفويض. هو أن يستوزر الأمام من يفوض إليه تدبير الأمور برأيه وامضائها على اجتهاده . ويراجع عبد الرحمن نصر عبد الله (٥٨٩ هـ) : المنهج المسلوك فى سياسة الملوك ص ١٤ وابن طلحة : العقد الفريد للملك السعيد ص ١٤٦ .

(٣) لم نقف عليه فى كتب الصحاح أو الموضوعات وتبين لنا أنه من أقوال الاسكندر : « الدنيا تحت شيئين السيف والقلم ، والسيف تحت القلم ، والقلم أدب المتعلمين وبضاعتهم .. » الغزالى ـ التبر المسبوك فى نصيحة الملوك ص ٩٣ .

(٤) يطلق الثعالبى على وزارة التفويض ـ الوزارة المطلقة كما يطلق على وزارة التنفيذ ـ الوزارة المقيدة ، تحفة الوزراء

والحل[1] ، والتقليد والعزل . فأما العقد : فيشتمل على شرطين ـ تنفيذ واقدام .

وأما الحل فيشمل على شرطين دفاع وحذر .

فصار العقد والحل وهو أحد شرطي هذه الوزارة يشملان على أربعة شروط ـ تنفيذ ، ودفاع ، واقدام ، وحذر .

ولكل شرط منها فصل يشتمل على فصول .

---

(١) ا الحل والعقد

الفصل الأول

التنفيذ

فأما الفصل الاول ، وهو التنفيذ - فهو أس الوزارة ، وقاعدة النيابة . وهو الاخص بكفاية القلم في مصالح الملك واستقامة الاعمال ، ويشمل على أربعة أقسام أحدها - تنفيذ ما صدرت به أوامر الملك ، فعلى الوزير فيها حقان .

أحدهما ، أن يتصفحها من زلل في ابتدائها ، ويحرسها (١٤/أ) من خلل في أثنائها ، ليرده عن زللها باللطف ، ويقوى عزمه على صوابها بالاحماد ، وقد قال أفلاطون (١) : « أول رياضة الوزير أن يتأمل أخلاق الملك ومعاملته ، فإن كانت شديدة فظة عامل الناس بدونها ، وإن كانت لينة مطلقة، عاملهم بأقوى منها ليقرب من العدل في سعيه » .

الثاني : تعجيل إمضائها للوقت المقدر لها ، حتى لا يقف فيوحش ، لأن وقوف أوامره توحش (٢) ، وهو مندوب للتنفيذ دون الوقوف . وقد قال

---

(١) ترجمته - فيلسوف يوناني قديم ، ينتمي إلى اشراف قومه : تتلمذ لسقراط وجلس على كرسيه بعد موته ، وتتلمذ عليه أرسطو . ومن أهمها كتب المحاورات التي سميت باسمه ، وكتب في السياسة . جمهورية أفلاطون، والقوانين وترجمت كتبه في عصر المأمون . وقد أعجب به المفكرون المسلمون وخاصته نظريته في المثل القفطي (٦٤٦ هـ) . أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، المكتبه التجارية من ١٣ /٢١ وابن نباته المصري - سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون تحقيق محمد أبي الفضل ، دار الفكر المصري ص٢٠٨، والنص موجود في الثعالبي. تحفة الوزراء مخطوط ، ق ٧

(٢) ب ، حـ - يوحش

حكيم الهند ـ « العجلة فى الأمر خرق ، وأخرق من ذلك التفريط فى الأمر بعد القدره عليه » وقال بعض حكماء العرب ـ كم من عزيز أذله خرقه ؛ وذليل أعزه خلقه . »[1] ودرك هذا التفليد عائد على الملك دون الوزير ، (١٤ / ب) .

والقسم الثانى ـ تنفيذ ما اقتضاه رأى الوزير من تـــدبير المملكة فعليه فى إمضائه حقان .

أحدهما . أن يراعى[2] أولى الأمور فى اجتهاده واصوبها (فى رأيه ، لأنه مندوب لاصلاحها ومأخوذ بأصوبها)[3] .

الثانى : أن يطالع الملك به إن جل ، ويجوز أن يطويه عنه إن قل ، ليخرج من الاستبداد المنفر ، ويسلم من الحقد المؤثر : وقد قال حكيم الهند : « الأحقاد مؤثرة ، حيث كانت ، وأخوفها ماكان فى أنفس الملوك ، لأنهم يدينون بالانتقام ، ويرون الطلب بالوتر مكرمة وفخرا »[4] فإن عارضه الملك فى رأيه بعدالمطالعة به لم يستوحش من معارضته ، لأنه ملك مستنيب ، وظان مستريب ، وقابل بين رأيه (١٥ / ا) ومعـارضته فيه ، واستوضح منه أسبـابالمعارضة بلطف إن خفيت، فقد قيل : « الكلام اللين مصائد القلوب »[5] . فإن وضح صوابها ، توقف

---

(١) الميدانى (٥١٨ هـ) ـ مجمع الأمثال حـ ا ص ٢٨٤ « رب عزيز ... »

(٢) فى ا : يكون (٣) زيادة فى ب . ـ

(٤) بيدبا الفيلسوف الهندى : كليلة ودمنة ترجمة عبد الله ابن المقفع طبعة ١٩٢٥ ص ١٦٢ واليمنى (٤٠٠هـ) مضاهاه أمثال كليلة ودمنة بمـا أشبهها من أشعار العرب ، ت محمد يوسف نجم ، دار الثقافة بيروت ص ٦٧ .

(٥) فى ا « اللين » محذوفة . والكلام لعمرو بن معدى بن كرب الغزالى : التبر المسبوك ص ١١٧ . وأبو حيـان التوحيدى : الإمتاع والمؤانسة ص ٦٢ . وابن طلحة : العقد الفريد للملك السعيد ص ٣٨ . والثعالبى : التمثيل والمحاضرة ص ١٥٨ .

عن رأيه ، وشكره على استدراكه زلله وتلافى خلله ، وقد من عليه إذ صفح ولم ولم يؤنب وإن كان الصواب مع الوزير تلطف فى إيضاح صوابه ، وكشف علله وأسبابه ، فإن ساعده على إمضائه أمضاه ، وكان درك تنفيذه عائدا على الوزير دون الملك ، وإن لم يساعده عليه توقف عنه انقيادا لطاعته . فقد قال بعض السلف : « من ضن بعرضه فليدع المراء » (١) وقيل (٢) : « خل الطريق لمن لا يضيق » ويكون درك وقوفه عائدا على الملك دون الوزير .

والقسم الثالث : تنفيذ ماصدر عن خلفائه على الأعمال التى فوضها (١٧ / أ) الى آرائهم ، ووكلها إلى اجتهادهم ، فان تفردوا بتنفيذها أمضاها لهم ، ولم يتعقبها مالم يتحقق زللهم فيها . وكان درك تنفيذها عائد على العمال دون الوزير ، وإن وقفوها (٣) على تنفيذ الوزير ، فعليه فى تنفيذها حقان :

أحدهما ، أن يستكشف عن أسبابها ليعلم خطأها من صوابها .

والثانى ، تقوية أيديهم ونفى الارتياب عنهم ، فان ظهور الارتياب محنة (٤) وقد قال حكيم الفرس : « ليس أحد أبعد من الخير من اثنين منزلتهما واحدة ، وعللهما مختلفة ، أحدهما من لا يثق بأحد ، والثانى من لا يثق به أحد » فان نفذها لهم حين لم يتحقق زللهم فيها . كان درك تنفيذها عائدا على العمال دون الوزير ، وان أوقفها كان درك وقوفها عائدا على الوزير دون العمال . (١٦ / أ)

والقسم الرابع : تنفيذ أمور الرعايا على ما ألفوه من عادات ومعاملات ، واختلفوا فيها حتى ائتلفوا بها ،لأن الناس مجبولون على الحاجة إلىأنواع ،لايقدر

---

(١) من أقوال على بن أبى طالب . نهج البلاغه حـ ، ص ٢٨٨

(٢) ب ، حـ : قال .

(٣) ا : وقفها (٤) ب ، حـ : يخيفهم

الواحد أن يقوم بجميعها ،فخولف بين هممهم لينفرد كل قوم بنوع منها،فيأتلفوا بها ، فيقوم الزراع بمزارعهم ، ويتشاغل الصناع بصنائعهم . ويتوفر التجار على متاجرهم وقد قال قمر الملك (١) لوزيره : «الناس اربع طبقات. طبقة للفروسية ألحقهم بالشرف ، وطبقة لأقامة الديانة ألحقهم بالكفاية، وطبقة الزراعة والعمارة أجرهم على الانصاف ،وطبقة للمهن لاتخلهم من الاحسان، وعليه في تنفيذها لهم حقان : أحدهما ، أن لايعارض صنفا منهم فى مطلبه . والثانى : أن لايشاركه فى مكسبه (١٦ / أ) وربما كان للسلطان أى فى الاستئثار(٢) من أحد الاصناف فينقل اليه من لم (٣) يألفه فيختل النظام بهم فيما نقلو إليه ، لأن تمييزهم بالهام(٤) الطباع أعدل فى ائتلافهم من التصنع لها ، وربما ضن السلطان عليهم بمكاسبهم ، فتعرض لها أو شاركهم فيها، فاتجر مع التجار ، وزرع مع الزراع ، وهذا وهن فى حقوق السياسة ، وقدح فى شروط الرياسة من وجهين :

أحدهما ، إنه إذا تعرض لأمر قصرت فيه يد من عداه ، فإن تورك عليه لم ينهض به ، وإن شورك ضاق على أهله.وقدروى عن النبى ﷺ أنه قال: «ماعدل وال اتجر فى رعيته » (٥)

والثانى: ان الملوك أشرف الناس منصبا ، فخصوا بمواد السلطنة لأنها أشرف

---

(١) ب ، حـ : حبر الملك (٢) فى ا : الاستكمار
(٣) ب ، حـ : لا (٤) ا : بالمهام
(٥) حديث ضعيف رواه الحاكم فى الكنى ، السيوطى:الجامع الصغير ص٢٨٣ ويقول المناوى فى شرحه فيض القدير قال بعض الحكماء : كنياء الملوك الاغارة والعمارة أى الحرب والتعمير ، وقد روى الحديث رجل من الصحابة، كما رواه ابن منيع والديلمى حـ٥ الطبعه الأولى ١٣٥٦ / ١٩٣٨ ص ٤٥٦ .

المواد مكسبا ، فإن زاحموا العامة فى درك مكاسبهم ، أو هنوا (١) الرعايا بسوء الممالك ، وعاد وهنهم عليها فاختل نظامها ، واعتل مرامها . وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال : « إذا اتجر الراعى هلكت (٢) الرعية » وقال بعض الحكماء ، « إذا لم يكن فى سلطان الملك سرور الرعية ، كان ملكه ظلما »(٣) وكتب حكيم الروم(٤) إلى الاسكندر : « أى ملك تطلعت نفسه إلى المحقرات فالموت أكرم له » .

---

(١) ا : وهنوا (٢) ب ، حـ : أهملت

(٣) من أقوال عمر بن الخطاب لأبى موسى الأشعرى : « أسعد الولاة من سعدت به رعيته وأشقى الولاة من شقيت به رعيته » الثعالبى : التحقيق والمحاضرة ص ٢٩ والغزالى : التبر المسبوك فى نصيحة الملوك حـ٢٢ وابن طلحه : العقد الفريد للملك السعيد ص ٢٩ ، ٦٩ .

(٤) ترجمته ، هو أرسطو طاليس بن نيقو ماخس ، يعرف لدى المفكرين العرب « بالمعلم الأول » لأنه أول مؤسس لعلم المنطق وتتلمذ على يد أفلاطون وكان يقول : الحق أولى بالمحبة من أفلاطون . وكان مستشار الاسكندر ومات بعده . صاعد بن أحمد الأندلس (٤٦٣ هـ) : طبقات الأمم ص ٢٦ ، ٢٧ ، القفطى أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢١/ ٤٠ ابن نباته المصرى سرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون حـ ٢١٠ / ٢١٣ .

الفصل الثانى

الدفاع مهمة الوزير

فأما الفصل الثانى وهو الدفاع . ويشتمل الدفاع على أربعة أقسام :

أحدها ، الدفاع عن الملك من الأولياء .

والثانى : الدفاع عن المملكة من الأعداء .

والثالث : دفاع الوزير عن نفسه من الأكفاء .

والرابع : دفاعه عن الرعية من خوف واختلال .

القسم الأول : الدفاع عن الملك من الأولياء

(١٧ / ب) فأما القسم الأول فى دفاعه عن الملك من أوليائه ، فيكون بثلاثة أسباب [١] :

أحدها : أن يقودهم إلى طاعته بالرغبة ، ويكفهم عن معصيته بالرهبة ، فان الرغبة والرهبة إذا تواليا [٢] على النفس ذلت لها [٣] وانقادت خوفا وطمعا . وبها تعبد الله الخلق فى وعده ووعيده [٤] .

والثانى . أن يقوم بكفايتهم حتى لاينفروا بالقوة [٥] ويتفرقوا بالضعف ، وكلاهما قدح فى الملك لأنهم بالقوة أعداء مسلطون ، وبالضعف عجزة مستبدلون. وثبات الملك « يكون بأن »[٦] تكون القوة للسلطان ليصير قاهراً لهم ، ولاتكون

---

(١) أ . « أشياء .   (٢) ا . « توالت »   (٣) أ . « بهما »

(٤) ب ، حـ . « وعد الله ووعيده »   (٥) ب ، حـ . أو

(٦) ب ، حـ . « يكون بان » زائدة

القوة لهم فيصير مقهوراً بهم . بلغ المأمون أن الجند بخراسان شغبوا ونهبوا فكتب إلى عامله بها . « لو عدلت لم يشغبوا ، ولو قويت لم ينهبوا » (١)

والثالث . أن يحفظهم من الاغواء ، ويحرسهم (١٨/أ) من الاغراء ، وذلك بأمرين .

احدهما ، البحث عن أخبارهم حتى يعلم سليمهم من سقيمهم .

والثانى ، بأبعاد المفسدين عنهم حتى لايتعدى اليهم فسادهم، فان الكف بحسب الكشف ، والمهمل زائغ أو رائغ ولا خير فى واحد منهما لضلال الزائغ ومخاتلة الرائغ .

وقد قيل فى منثور الحكم « من بقاء الدولة قلة الغفلة » .

القسم الثانى : الدفاع عن المملكة من الاعداء

والقسم الثانى فى دفاعه عن المملكة من أعدائها ، وأعداء الممالك من انفرد بملك أو امتنع بقوة . وهم ثلاثة أصناف . أكفاء مماثلون ، وعظماء متقدمون ، وناجمة منافسون .(٢) فأما الأكفاء المماثلون فيدفعون بالمقاربة والمسالمة .

وأما العظماء المتقدمون فيدفعون بالملاطفة والملاينة .

---

(١) أبو منصور الثعالبى (المتوفى ٤٢٩ هـ) . تحفة الوزراء ، مخطوطة تحوش دار الكتب المصرية ق ٢٠ كتب صاحب أرمنية إلى المأمون أن الجند قد استطالوا عليه وشغبوا فى طلب أرزاقهم حتى كسروا أقفال بيت المال فانتهبوه فوقع اليه . «اعتزل ملكنا فلو عدلت لم يشغبوا ولو قويت لم ينهبوا »

(٢) ب ، حـ «متنافسون »

وأما الناجمة المنافسون فيدفعون بالسطوة والخشونة (١) .

(٨٨ ب) فان اختلاف الرتب يوجب تباين أهلها وتنافى أحوالها . فإن انقاد الأعلى انقاد له الأدنى ، يدين بما دان . كما قال النبى ﷺ . « كما تدين تدان » (٢) . وإن ناكر نوكر ، وكان على وجه من سطوة العالى ومنافرة الدانى.

وقد قال بعض الحكماء « من قلت تجربته خدع ، ومن قلت مبالاته صرع »(٣).
وان استغنى عن محاربة أحدهم كف عنها وهول بها ، ولم يخرق حجاب الهيبة ، ولم يقطع أسباب المراقبة ، ليحظى بأربعة أشياء . دعه المسالمة ، والأمن من خطر المناجزة ، وبقاء الأموال ، وراحة الأجناد . وقد قالت القدماء . خذ

---

(١) ب ، حـ « المخاشنة »

(٢) حديث غير صحيح ، رواه أبو نعيم من حديث ابن عمر مرفوعا فى حديث طويل فى سنده ابن محمد عبد الملك الأنصارى وهو لايعول عليه ، وقد أورده ابن عدى فى كامله من طريقه وضعف من هذا وأخرجه البيهقى من حديث أبى قلابه رفعه مرسلا ووصله أحمد من هذا الوجه بأثبات أبى الدرداء فيه وجعله من قوله وهو منقطع مع رفعه ولابن أبى عاصم عن أنس فى حديث إن الله تعالى قال ياموسى كما تدين تدان فى سنده سعيد بن موسى وهو متهم بالوضع وفى الحلية فى ترجمة أبى يحيى بن زرعة إنه من التوراة العجلونى . كشف الخفاء حـ ٢ ص ١٨٨ وقد ذكر الماوردى فى الأمثال والحكم ، مخطوط ق ٤٢ انه من أمثال الحكماء . ونص المثل « اسبغ عطاء الحزم سوء الظن ، والتلطف فى الحيلة أجدى من الوسيلة ، وكما تدين تدان » ، وأشار ابن قتيبة فى أدب الكاتب أنه من كلام الناس ، ط ١٣٤٦ ص ٤٨ وقد تبين لنا أنه من الأمثال الهندية القديمة كليلة ودمنه ص ١٨٦ .

(٣) الماوردى : الأمثال والحكم ، مخطوط ق ٢

بالأناة ما استقامت لك ، واقبل العافية ما وهبت لك ، ولا تعجل إلى مناجزة العدو ما وجدت إلى الحيلة سبيلا ، [١] ولا تسأمن من مطاولة عدوك ، فإن لك فى الابطاء انتظار الفرصة (١٩/أ) ، وظفر بعورة ، وتوق طلب الظفر باللقاء ، فإنه لا يكاد ينال إلا بالأخطار . ولتكن الرغبة منك فى طاعة عدوك لك آثر عندك من الغنيمة ، تصيب به سلامة أصحابك ورعيتك ، وقد قال على بن أبى طالب [٢] رضى الله تعالى عنه : « خذ على عدوك بالفضل فانه أحد الظفرين » . وان دعت الضرورة إلى المناجزة بعد الاعذار والانذار ، أيقظ لها عزمه واستعمل فيها حزمه ، وأقدم عليها بعد الاستخارة متبعا للدين ، مستعملا للعدل . فلن يعدل عنهما الا باغ مصروع . وقد قال بعض الحكماء : « من سل سيف البغى أغمد فى رأسه » [٣] ومن أسس أساس السوء أسسه على نفسه ، وليكن الحذر جنته ، والاستظهار عدته . وقد قال حكيم الفرس [٤] : « احذر التفريط فى الأمور اتكالا على القدر ، فإن لكل قدر سببا يجرى (١٩/ب) اليه ، فسبب النجح العمل ،

---

(١) من أمثال الهند القديمة فى كتاب كليلة ودمنه راجع مضاهاة أشعار العرب بما ورد فى كتاب كليلة ودمنه من الأمثال والحكم ص ١٥

(٢) ترجمته : على بن أبى طالب ، الخليفة الرابع ، ابن عم رسول الله ، أسلم وعمره ثمان سنوات ، كان فقيها حكيما شجاعا ، توفى فى رمضان سنة ٤٠ هـ . والنص فى نهج البلاغة ج ٢ ص ٧٠ وأبو بكر الخوارزى : مفيد العلوم ومبيد الهموم ص ١٩٧ .

(٣) من أقوال الامام على بن أبى طالب راجع ابن عبد ربه : المختار من العقد الفريد ص ١٧٣ والثعالبى : التمثيل والمحاضرة ص ٤٥٠ « من سل سيف البغى قتل به » .

(٤) حكيم الفرس جاماسب آثار الأول فى ترتيب الدول ص ٣٥

وسبب الخيبة التفريط ، وكان يقول : تفكر قبل أن تعزم ، وتبين قبل أن تهجم، وشاور قبل أن تقدم ، وإذا وضعت الحرب أو زارها على ظهر وغابة صفح وتألف ، فقد كتب حكيم الروم إلى الاسكندرية : « إذا ظهرت الغلبة على قوم فضع مع أوزار الحرب الغضب ، لأنهم فى الحال الأولى أعداء ، وهم فى هذه الحال اخوان (١) ، فأبدلهم بالغضب رحمة وبالأذى أحسانا » .

القسم الثالث : دفاع الوزير عن نفسه من الاكفاء

والقسم الثالث فى دفاع الوزير عن نفسه من أكفائه .فتكون بعد اصطلاح(٢) الطرفين الأعلى وهو الملك والأدنى وهم الأعوان . واكفاؤه ثلاثة :

واتر ، وموتور ، ومنافس .

فأما الواتر : فقد بدأ بشره ، وجاهر بعداونه ، وكلاهما بغى منه يؤنس بالنصر عليه .

وقد قال سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام : « سهم الظالم يرجع عليه . لأن عقوبته تسرع اليه » (٣) . وقد قال بعض الحكماء ، « من فعل الخير فبنفسه بدأ ، ومن فعل الشر فعلى نفسه جنى (٤) . والك فى تره (٥) حقان : حق فى مقابلته على ما قدم من وتره (٦) ، وحق فى استدفاع ما جاهر به من عدوانه .

---

(١) ب ، حـ حول (٢) ب ، حـ (استصلاح) ومعنى كلمة اصطلاح :الصلح وهو التوفيق المصباح المثير ص ٤٧٢

(٣) الغزالى : التبر المسبوك فى نصيحة الملوك ص ٢٢

(٤) ا جنسا (٥) ب ، حـ « بره »

(٦) ب ، حـ « بره »

فاما حقك فى المقابلة فان عفوت عنها كنت بالفضل جديرا، وان قابلت عليها كنت فى المقابلة معذوراً .

وقد روى عن النبي ﷺ أنه قال : « من أراد أن يشرف الله له فى البنيان ، وأن يرفع له الدرجات يوم القيامة ، فليعف عن ظلمه ، وليصل [1] من قطعه ، وليعط من حرمه ، وليحلم عمن جهل عليه » . وقال المنتصر [2] : « لذة العفو أطيب من لذة التشفى » لأن لذة العفو يتبعها الحمد ، ولذة التشفى يعقبها الندم قال الشاعر :

وليس اعتذارى من قبيح نافع	إذا قيل لى يوما وصدق قائله
فانك تلقى فاعل الشر نادما	عليه ولم يندم على الخير فاعله[3]

وأما حقك فى استدفاع عدواته ، فقد أيقظك بمجاهرته ، وأوهن كيده بمظاهرته .

وقد قيل فى منثور الحكم : « أوهن الأعـــداء كيدا أظهرهم لعدواته » [4] فاحذر بادرته وادفع عـــداوته . ودفعها مختلف باختلاف طباعه فى أثباته

---

(١) ب ، حـ « ويصل »

(٢) ترجمته : هو محمد بن جعفر المعتصم من خلفاء الدولة العباسية بويع بعد أن قتل أبيه عام ٢٤٧ هـ ، وقيل : مات مسموما بمبضع طبيب عام ٢٤٨هـ تاريخ بغداد حـ ٢ ص ١١٩ تاريخ الخلفاء ص ٣٥٦ — وفيات الوفيات حـ ٢ ص ١٨٤ .

(٣) الماوردى : الأمثال والحكم ، مخطوط ق ٤٠ .

(٤) عبد الله بن المقفع : الأدب الكبير تحقيق محمد حسن نائل المرصفى ص =

بالرغبة (١) أو تقويمه (٢) بالرهبة.

وقد قال لقمان لابنه. «يابنى اعتزل الشر يعتزلك فان الشر للشر خلق» (٣)

وقد قيل فى الصحف الأولى. الشرير شره عليه. وقال الحسن بن سهل (٤) وجدت للقمان (٥) الحكيم. «ثلاثة (١/٣١) لايصلح فسادهن بشيء من الحيل. العداوة بين الأقارب، وتحاسد الأكفاء، والركاكة فى الملوك. وثلاثة لايستفسد صلاحهن بنوع من المكر. العبادة فى العلماء، والقنوع فى المستبصرين والسخاء فى ذوي الأقدار. وثلاثة لايشبع منهن. الحياة والعافية والمال» (٦).

= «اياك ان تكافىء عداوة السر بعداوة العلانية»، والنص من أقوال المعتز راجع تهذيب الرياسة وترتيب السياسة، مجهول المؤلف، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم أدب ٩٩٠٧ ص ٦٣.

(١) ب، حـ اثباته الرغبة (٢) ب، حـ «تقويمها»

(٣) كان لقمان حكيما وقال الله فيه «ولقد آتينا لقمان الحكمة (لقمان. الآية ١٢)، وكان قاضيا على بنى إسرائيل. الامام أحمد بن حنبل. الزهد، مطبعة أم القرى، دون تاريخ ص ٤٨، ٤٩ والنص ذكره أيضا الماوردى فى الأمثال والحكم، مخطوط ق ٣٧ والميدانى. مجمع الأمثال حـ ١ ص ٣٣٤

(٤) الحسن بن سهل. يطلق عليه المترجم العربى، عمل وزيرا للخليفة المأمون بعد مقتل أخيه الفضل بن سهل ذى الرياستين، الفضل، وحزن كثيراً على أخيه، وترك الوزارة فى سنة ٢٠٢ هـ وتوفى عام ٢٣٥ ابن النديم. الفهرست، المطبعة التجارية ص ٢٤٢

(٥) ب، حـ «الفلمان»

(٦) أبو بكر الخوارزمى. مفيد العلوم ومبيد الهموم، المطبعة السعيدية =

وأما الموتور فقد يودى (١) بالاساءة فصبر عليها (٢)، وجوهر بالعداوة فأخفاها ، فله ترة مظلوم ووثبة مختلس ، فتتوقى (٣) ترة ظلامته بالاستعطاف وتتوقى وثبة مخالسته بالاحتراز . وقد روى مجاهد عن الشعبي عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال . «إياكم والمشارة فإنها تدفن الغرة وتظهر العرة» وقد قيل فى أمثال الحكم . ثلاثة القليل منها كثير (ص ٢١/ب). النار ، والعداوة ، والمرض» (٤). قال الشاعر .

فلا تأمنن الدهر حرا ظلمته فما ليل مظلوم كريم بنائم (٥)

وأما المنافس . فهو طالب رتبة ، إن نال منها سدادا امن عوز يأسر ، وإن

= بمصر ص ٢٠٤ وابن مسكويه (٤٢١هـ) . الحكمة الخالدة تحقيق عبد الرحمن بدوى ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ١٩٥٢ ص ٩ والنص ، ب ، حـ الحياة والمال والعافية .

(١) ا بوذى

(٢) ب ، حـ « عليها » محذوفة (٢) ا « فتتوقى »

(٣) حديث ضعيف رواه البيهقى فى شعب الإيمان السيوطى . الجامع الصغير ص ١٠٤ وقد ذكره الماوردى أيضاً فى الأمثال والحكم ق ٢٣ وأدب الدنيا والدين ص ١٥٤ والقضاعى . شهاب الأخبار ، مخطوط ، ٢٧ ا والمشارة : المعاداه والمخاصمة ، مفاعلة من الشر . والعرة : العذر واستعيرت العزة والعرة للمحاسن والمثالب وفى «ا» بدلا من المشارة المشادرة .

(٤) عبد الله بن المقفع . الأدب الصغير بتحقيق أحمد زكى ط مصر ١٣٢٩هـ - ١٩١١ م ص ٦٨ بلفظ أربعة أشياء لايستقل منها قليل . النار ، والمرض ، والعدو ، والدين

(٥) قاله عمرو بن براقة الهمذانى راجع الماوردى : الأمثال والحكم ق ٤٤

ضويق فيها نافر ، فارخ له عنان الأمـــل ، واخفض جناح منافسته بالاستبانة (١) والعمل ، لتدفعه بالمياسرة عن المنافرة ، وغالط به الأيام فإن الساعات تهدم الأعمار وقد قيل فى منثور الحكم: «المرء بساعاته، والدهر فى مساعاته» (٢) ولا تجعل له فراغا يتشاغل فيه بمساءتك ،و يحملك عذرا فى السعى على منزلتك، فإن المضطر جسور . فإن ساق القضاء إليه حظا (٣) كنت له مصطنعا يرعى لك حقوق الاصطناع . فقد قيل : «من علامة الأمثال اصطناع الرجال» (٤) . وقال بعض الحكماء : «اصطنع الخير عند إمكانه يبق لك حمده بعد زوال (ص ٢٢ / ا) أيامه» واحسن والدولة لك تحسن إليك والدولة عليك (٥) . واجعل زمان رخائك عدة لزمان بلائك وإن صده القضاء عن إرادته وحجزه القدر عن طلبته ، كفيت ما خفته وقد أحسنت ووصلت إلى ما أردته وقد احجمت. فقد قيل فى منثور الحكم : «الحوائج تطلب بالعناء ، وتدرك بالقضاء» (٦) .

---

(١) ا «الاستبانة» .

(٢) قريب من المعنى «ما انقضت ساعة من أمسك إلا ببضعة نفسك» أبو حيان التوحيدى : الامتناع والمؤانسة ج ٢ ص ٦١ والماوردى : أدب الدنيا والدين ص ٥٣ .

(٣) غير واضحة فى ا .

(٤) ذكره الماوردى فى الأمثال والحكم ق ٤٩ وأدب الدنيا والدين ص ٧٩ ، ١٥١ .

(٥) الماوردى : أدب الدنيا والدين ص ١٥١ وأيضاً فى الأمثال والحكم ق ٤٢ وأبو بكر الخوارزمى : مفيد العلوم ومبيد الهموم ص ٢٠٤ .

(٦) ابن قتيبة : عيون الأخبار ، المجلد الثالث ص ١٢٢ والثعالبى : التمثيل والمحاضرة ص ٤٦٧ .

ثم أوجبت بإحسانك شكرا وأقمت بإحجامك (١) عذرا ، اجتنبت بهما قياد منافسك إلى طاعتك ، وصرفته بهما عن التعرض لمنافستك، فسيجعلك قبلة رجائه إذ لم يحظ بخير إلا منك ، ولم يقض من زمانه وطرا إلا بك . وقد قيل فى منثور الحكم : « من استصلح الأضداد بلغ المراد » (٢) . وقد قيل فى منثور الحكم . مثل لبعض الحكماء ما النبل ؟ قال مؤاخاة الأكفاء ومداهنة الأعداء (٣) وربما تعرض لعدوانك من قصر عن رتبة منافستك ، فاعطه (٢٢ / ب) من رجائه طرفا واقبض من زمانه (٤) طرفا واختبرهما فيه فستقف به الغاية على صلاح أو فساد ، فإن صلح سوعد ، وإن فسد توعد وقد قال إزدشير بن بابك (٥) . واحذروا صولة الكريم إذا جاع ، واللئيم إذا شبع (٦). وقد قيل فى منثور الحكم : « علة المعاداة قلة المبالاة » (٧) . قال سليمان بن داوود

---

(١) احجمت : أى تركته .

(٢) الماوردى : الأمثال والحكم ق ٢٤ .

(٣) الماوردى : الأمثال والحكم ق ١٥ .

(٤) ب ، ح : « زمامه » .

(٥) قام أزدشرين بابك فى أهل فارس يريد الملك الذى كان لآبائه قبل الطوائف ، وأن يجمعه لملك واحد ، وكان له ما أراد ، وقول الملك حوله ، وأثخن فى الأرض ، وأقام العدل فى مملكته ، ومدن المدن واستكثر العمارة ، وكان ملكه أربعة عشر سنة وستة أشهر ، ابن قتيبة: المعارف ص ٢٨٦ . وابن خلدون : كتاب الصبر فى ديوان المبتدأ والخبر تحقيق عـــلال الفاسى وعبد العزيز إدريس ، مطبعة النهضة بمصر ج ١ ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ .

(٦) عبد الله بن المقفع : الأدب الكبير تحقيق محمد حسن نائل المرصفى ص ٢٥. والثعالبى : التمثيل والمحاضرة ص ٤٣ .

(٧) الماوردى : أدب الدنيا والدين ، المطبعة البهية بمصر ص ٧٩ ، ١٥٥ .

عليهما الصلاة والسلام لابنه : « لا تستكثر أن يكون لك ألف صديق فالألف قليل ، ولا تستقل أن يكون لك عدو واحد ، فالواحد كثير »(١) . والسلامة فى الزمان وأهله من كذب الأمانى (٢) . فاقلل ولا تستكثر فقد روى عن النبى ﷺ أنه قال « لولم يصب ابن آدم من الدنيا إلا الأمن والسلامة لكفى بهما داء قاتلا » (٣) وقيل فى منثور الحكم : الناس عون على الصبر ، (٢٣ / أ) وقال إبراهيم بن المهدى : (٤)

وللنفوس وإن كانت على وجل ۞ من المنية آمال تقويها

فالمرء يبسطها والدهر يقبضها ۞ والنفس تنشرها والموت يطويها

---

(١) ابن قتيبة : عيون الأخبار ، المجلد الثالث ص ١ والثعالبى : التمثيل والمحاضرة ص ١٥ .

(٢) فى أ : « كبر » .

(٣) لم نقف عليه فى كتب الصحاح أو الموضوعات وذكره كحديث أبى بكر الخوارزمى : مفيد العلوم ص ١٣٧ .

(٤) هو إبراهيم محمد عبد الله العباسى ، ويعرف بإبراهيم المهدى ، وهو عم المأمون ، وكان والياً للبصرة وابن طباطبا يقول عنه : إنه كان فاضلا شاعراً فصيحاً أديباً مغنياً حاذقا : الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية مطبعة الموسوعات بمصر ص ١٩٩ ، وعندما خلعه المأمون ، اجتمع الهاشميون وخلعوا المأمون وعقدوا الأمر لإبراهيم المهدى فى ٢٥ ذى الحجة سنة ٢٠١ هـ الجيشارى : كتاب الوزراء والكتاب تحقيق مصطفى السقا وعبد الحفيظ شلبى ط الحلبى الأولى ص ٣١٢ ويقول ابن الأثير : بويع بالخلافة إبراهيم ابن المهدى واستولى على قصر بن هبيرة فى عام ٢٠٣هـ وخلع وعفا عنه المأمون الكامل فى التاريخ جـ٥ ص ١٨٩ / ١٩٤ وقد ذكر الماوردى التبيين فى الدنيا والدين ص ٦١ .

القسم الرابع : فى الدفاع عن الرعية من خوف واختلال

والقسم الرابع فى الدفاع عن الرعية من خوف واختلال، فالجزف من نتائج الحيف، والإخلال من نتائج الإهمال (١) وكلاهما من سوء السيرة ، وفساد السياسة بين تفريط وإفراط ، وخروجهما عن العدل إلى تقصير أو إسراف ، وهم قوام الملك المستمد وذخره (٢) المستعد ، إن أهملوا أفسدوا وأفسدوا ، وإن جيف عليهم هلكوا وأهلكوا ، فلن يستقيم ملك فسدت فيه أحوال الرعايا (٣) ، لأنه منهم بمنزلة الرأس من الجسد لا ينهض (٢٣ / ب) إلا بقوته ولا يستقل إلا بمعونته . وعليك لهم ثلاثة حقوق :

أحدها : أن تعينهم على صلاح معايشهم ، ووفور مكاسبهم ، لتتوفر (٤) بهم موادك ، وتعمر بهم بلادك . وقد روى عطاء عن جابر عن النبى ﷺ أنه قال : « خير الناس أنفعهم للناس » (٥) . وقال وهب بن منبه « إن أحسن الناس عيشاً

---

(١) الجزف من نتائج الحيف ، والإخلال من نتائج الإهمال ناقصة فى ب ، حـ .

(٢) ب ، حـ « وذخيرة » ٢٠

(٣) فى ا « الرعاية » .

(٤) فى ا « ليتوفر » .

(٥) حديث حسن (والحديث الحسن أن لا يكون فى إسناده متهم ولا يكون شاذا ويروى من غير وجه وهو حجة كالصحيح وإن كان دونه (الخلاصة فى أصول الحديث للطيبى حـ ١ ١٩٧١ بالعراق ص ٣٨ ، ٤٣) رواه القضاعى عن جابر بن عطاء : السيوطى : الجامع الصغير ص ٢٤٠ والعجلونى : كشف الخفاء حـ ١ ص ٤٧٢ .

من حسن عيش الناس فى عيشه » (١) . والثانى : أن تقتصر (٢) منهم على حقوقك وتحملهم فيها على إنصافك ، ليكونوا على الاستكثار أحرص وفى الطاعة أخلص. وقد قيل : « من خاف اساءتك (٣) اعتقد مساءتك ، ولا تكلهم فى مقادير الحقوق إلى غيرك فيكونوا له أرجأ وعليه أحنا ، فقد قيل فى سالف الحكم : « إنما يستخرج ما عند الرعية ولاتها ، وما عند الجند قادتها وما ، فى الدين والتأويل علماؤه » . (٤) (٢٤ / ا) / والثالث : أن تحوطهم بكف الأذى عنهم ومنع الأيدى الغالبة منهم ، لتكون لهم كالأب الرؤوف ويكونوا لك كالأولاد البررة، فإنك كافل مسترعى ومسئول مؤاخذ . وقد قال النبي ﷺ : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » (٥) . فلله عليك منهم حق ، وللسلطان عليك فيهم تبعة ،

---

(١) وهب بن منبه ، الأخبارى صاحب القصص ، كان من خيار التابعين ، كثير النقل من الكتب القديمة ومن أشهر أقواله : العلم خليل المؤمن ، والحلم وزيره ، والعقل ليله ، والصبر جنوده والرفق أبوه ، مات وهو على قضاء صنعاء سنة ١١٤ هـ والنص وارد لدى الماوردى : فى الأمثال والحكم ق ٣٦ . وابن قتيبة: عيون الأخبار المجلد الثالث ص ١٧٩ . والمبرد : الكامل فى اللغة والأدب جـ ١ ص ١١٢ .

(٢) فى ا « يقتصر » .

(٣) ب ، جـ « اساءتك » .

(٤) من أمثال كليلة ودمنة لبيدبا الفيليسوف وقد ترجمه ابن المقفع .

وقد أورده محمد بن حسين اليمنى (٤٠٠ هـ) : كتاب مضاهاه أمثال كليلة ودمنه بما أشبهها من أشعار العرب تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم ، ط دار الثقافة بيروت ص ٧٥ . وأبو بكر الخوارزمى : مفيد العلوم ومبيد الهموم ص ٢٦٤ .

(٥) حديث صحيح ، رواه الشيخان . صحيح البخارى طبعة دار الشعب =

فاغتنم بهم شكر إحسانك ، وجمل بهم آثار سلطانك فإن الدنيا ظل الغمام وحلم النيام ، وقد قيل . « من الدنيا على الدنيا دليل » (١). وروى عن النبى ﷺ أنه قال : « كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » (٢) . وقيل فى منثور الحكم : « عود الحياة فى كل يوم يعتصر » وقال بعض الحكماء : « كل يوم يسوق إلى غده ، وكل امرىء مأخوذ بجناية / (٢٤ / ب) لسان يده ، فاغتنم غفلة الزمان ، وانتهز فرصة الإمكان ، وخذ من نفسك لنفسك وتزود من يومك لغدك » (٣) . وكتب حكيم الروم إلى الإسكندر : « لا تكلب على الدنيا فإنك قليل البقاء فيها » (٤) . ومن أحكم ما قيل فى هذا المعنى قول الشاعر :

= بمصر ج ٢ ص٦ . وهو متفق عليه بين الخمسة (بخارى ومسلم وأحمد بن حنبل والترمذى ودواد) عن ابن عمر الربيع الشيبانى (٩٤٤هـ) : تيسير الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول ، طبعة الحلبى ١٣٥٢ هـ — ١٩٣٤ م ج ٢ ص ٣٤ ، والسيوطى : الجامع الصغير ص ٢٣٦ والعجلونى كشف الخفاء ج ٢ ص١٦٩ .

(١) الماوردى : الأمثال والحكم ق ١٩ ا وأدب الدنيا والدين ص ٤٦ .

(٢) حديث صحيح ، رواه البخارى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما صحيح البخارى ، طبعة الشعب ج ٨ ص ١١٠ ورواه الترمذى فى الجامع الصحيح ج ٤ تحقيق إبراهيم عطوة عوض ص ٥٦٧ بزيادة « وعد نفسك من أهل القبور » كما رواه الترمذى وابن ماجه بهذه الزيادة أيضاً راجع العجلونى : كشف الخفاء ج ٢ ص ١٩٤ .

(٣) من حكم الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، عبد الواحد محمد الشيعى) : مختارات من جوامع الكلم ص ٥٢ والماوردى الأمثال والحكم ق ٤٣ النص بأكمله .

(٤) لم نقف على هذا القول لأرسطو طاليس باعتبار أنه حكيم الروم ، =

هومك بالعيش مقــرونة ∘ فما تقطع العيش إلا بهم
حلاوة وحلوة دنياك مسمومة ∘ فمـا تأكل الشهد إلا بسم
إذا تم أمر بدا نقصـه ∘ توقع زوالا إذا قيل تم (١).

ولما تاب الله تعالى على سليمان بن داوود عليهما الصلاة والسلام ، ورد عليه ملكه ، كتب على كرسيه : إذا صحت العافية نزل البلاء ، وإذا تمت السلامة نجم العطب ، وإذا تم الأمن علا الخوف (٢).

= ويبدو لنا ان هذا كلام زاهد — وينسب مسكويه — أنه قد سأل رسول ملك الروم كسرى أن يوصى صاحبه بما ينفع فقال له كسرى : ألا يثق بأمر الدنيا وأنها لا عهد لها ولا استقامة — كتاب الحكمة الخالدة تحقيق د. عبد الرحمن بدوى ص ٤٥ ويبدو لنا أن هذا القول منحول من مسكويه .

(١) ابن قتيبة : عيون الأخبار ، الجزء السادس المجلد الثانى ص ٣٢٢ .

(٢) أبو بكر الخوارزمى : مفيد العلوم ومبيد الهموم ص ٢٠٤ . والطرطوشى سراج الملوك : ص ٣٥٦ .

الفصل الثالث

الاقـــدام

الاقـــدام من مزايا الوزير وصفاته ، (٢٥/ ا) فهو فى السياسة أو فى شروطها (١) ، وفى الوزارة أكفى نظريها ؛ لظفر (٢) الاقدام وخيبة الاحجام ، وقد قيل فى منثور الحكم : « بالإقدام ترتفع الأقدام » وإنما يجب الإقدام إذا ظهرت أسبابه من فرصة تنتهزها أو قوة تجدها ، وقصدت أبوابه فى إبانه وعند إمكانه كما قال الشاعر :

إذا ما أتيت الأمر من غير بابه   ضللت وإن تقصد إلى الباب تهتدى(٣)

ثم تجمع بينهما (٤) بين حزمك وعزمك ، فالحزم تدبير الأمور بموجب الرأى ، والعزم تنفيذها للوقت المقدر لها ؛ فإذا تكاملت شروط الإقدام من هذه الوجوه الأربعة ، لم يمنع من الظفر إلا عوائق القدر . وقد قيل فى قديم الحكم : « إذا طلب اثنان حظا ظفر به أفضلهما (٢٥/ب) دينا ، فان استويا فى الدين ظفر به أفضلهما مروءة ، فان استويا فى المروءة ظفر به أكثرهما أعوانا ، فان

---

(١) ب ، جـ : « شرطيها » .

(٢) ب ، جـ : « بظفر » .

(٣) البيت للقيس بن الحطيم والنص وارد لدى العسكرى : جمهرة الأمثال ص ٥٩ .

(٤) فى ا : « بعدهما » .

استويا فى الأعوان ظفر به أسعدها جداً (١) ، فإن انثلم (٢) من شروط الإقدام احدها صار الإقدام تغريراً يمنع من حزم ذى اللب ، ويصد (٣) عن الظفر ما لم يغلب قدر ، فما الأقدار بقياس معتبر ، وقد قال حكيم الهند : « السبب الذى يدرك به العاجز حاجته ، هو الذى يحول بين الحازم وطلبته »(٤). وقيل لبزرجمهر : ما أعجب الأشياء ؟ قال : نجح الجاهل إكداء العاقل » (٥) ودخل عبد الله بن طاهر فقال له أيها الأمير ما الذى لا يحتاج فيه إلى عزم ولا حزم ؟ فاستمهله فى جوابه ثلاثة أيام . فعاد إليه وسأله فقال له : الدولة . فقال : صدقت (٢٦ ا) . وما أخرج هذه الكلمة منك إلا الدولة ، ولذلك قيل فى منثور الحكم : « الحظ يأتى من لا يأتيه » (٦) .

أقسام الاقدام :

والإقدام ينقسم إلى قسمين :

احدهما ، الإقدام على اجتلاب المنافع .

والثانى ، الإقدام على دفع المضار .

---

(١) بيدبا الفليسوف الهندى : كتاب كليلة ودمنة ترجمة عبد الله بن المقفع ص ١٤٣ .

(٢) فى ا : « أسلم » .

(٣) فى ا : « وصد » .

(٤) عبد الله بن المقفع : الأدب الصغير تحقيق أحمد زكى ص ٦٨ .

(٥) الماوردى : الأمثال والحكم ، مخطوط ، ق ٣٢ والخوارزمى : مفيد العلوم ومبين الهموم ص ٢٠٣ .

(٦) من أقوال الإمام على بن أبى طالب الماوردى : الأمثال والحكم ق ١٩ والميدانى الأمثال جـ ٢ ص ٣٧٤ .

فأما الإقدام على اجتلاب المنافع فضربان :

احدهما ، استضافة ملك .

والثانى ، استزادة مواد .

فأما استضافة الملك ، فيكون بالحزم والعزم ، إذا اقترنا [١] برغبة ورهبة، ولأن تكون [٢] بالاغتيال والاحتلال ، أولى من أن تكون بالقتال ، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الحرب خدعة » [٣] . وقيل فى أمثال الحكم : « أربعة لا يركبها إلا أهوج ، ولا يسلم منها إلى القليل : مناجزة الحرب ، وركوب البحر ، وشرب السم للتجربة ، وإئتمان النساء على السر » [٤] .

وأما استزادة (٢٦ / ب) المواد ؛ فيكون بالعدل والاحسان ، إذا اقترنا برفق ومياسرة ، لتكثر بهما العمارة ، وتتوفر بهما الزراعة ، فإن الارض كنوز الملك ، يستخرجها أعوان متطوعون ، يقنعهم الكف عنهم ، ويقطعهم العسف

---

(١) فى ا « اقترن » .

(٢) فى ا « يكون » .

(٣) حديث صحيح رواه الامام البخارى عن أبى هريرة الجامع الصحيح حـ ٤ ص ٧٧ كما رواه الإمام مسلم والترمذى وأبو داود والإمام احمد فى مسنده السيوطى : الجامع الصغير ص ١٣٩ والشيبانى . تمييز الطيب من الخبيث . ومعنى الحديث أن الحرب الكاملة هى المخادعة لا المواجهة ، لحصول الظفر بغير خطر ، كما فى الحديث التحريض على أخذ الحذر فى الحرب .

(٤) بيدبا الفليسوف الهندى . لكليله ودمنه ص ٢٩ قال العلماء . إن أمورا ثلاثة لا يجترىء عليهن إلا أهوج ، ولا يسلم منهن إلا قليل ، وهى. صحبة السلطان ، وإئتمان النساء على الأسرار ، وشرب السم للتجربة » ، وفى أ بدلا من « الحرب » « العدو » .

بهم ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « التمسوا الرزق فى خبايا الأرض » (١) يعنى الزرع ، ولأن تستمد فرعا داراً يعم خيره ، أولى من أن تجتث أصلا منقطعاً يعم ضرره ، فلا نفاد لدار ، ولا لبث لمنقطع ، وما يفسده إلا المبادرة قبل أوانه ، والعجلة قبل زمانه . وقد قيل فى أمثال الحكم : « الحظوظ مراتب فلا تعجل على ثمرة لم تدرك ، فإنك تنالها فى أوانها عذبة ، والمدبر لك أعلم بالوقت الذى تصلح (٢) فيه ، فثق بخيرته لك ، ولا تحمل حوائج عمرك كله على يومك ، الذى أنت فيه ، فيضيق عليك ويشغلك القنوط عن (٢٧/ا) تدبيرك فليحذر العجلة فيراه الناس مسيئاً » . وقد قيل لبعض الحكماء . من شر الناس ؟

قال . من لا يبالى أن يراه الناس مسيئاً » (٣) .

وأما الإقدام على دفع المضار فضربان :

احدهما (٤) ، دفع ما اختل من الملك وله سببان :

---

(١) أخرجه الماوردى برواية عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها فى الأمثال والحكم ق ٣٤ ، كما رواه الدارقطنى والبيهقى . العجلونى. كشف الخفاء ومزيل الألباس جـ ١ ص ٢٠٣ ورواه أبو يعلى والطبرانى بسند ضعيف بلفظ « أطلبوا الرزق فى خبايا الأرض » .

(٢) ا « يصلح » .

(٣) من حكم لقمان راجع للامام أحمد بن للامام بن حنبل الزهد ص ٥٠ والجاحظ . البيان والتبيين تحقيق عبد السلام هارون جـ ٣ ص ١٦٥ وذكره الماوردى فى الأمثال والحكم ق ٣١ .

والميدانى مجمع الأمثال جـ ١ ص ٣٥٨ وابن قتيبة . عيون الأخبار ، المجلد الثانى ص ٣٧٢ .

(٤) ب ، جـ ناقصة « احدهما » .

[اهمال أو عجز . والثانى دفع ما نقص من المواد وله سببان] (١) . نفور أو جور . فادفع ضرر كل واحد منهما بالضد من سببه ، فان علاج كل داء بضده من الدواء . فان كل اختلال الملك من الإهمال ، أيقظت له عزمك ، وإن كان ذلك (٢) من العجز ، استعملت فيه حزمك . وإن كان نقص المواد من النفور استحدثت فيه رهبتك ، وإن كان من الجور ، أظهرت فيه معدلتك . فان كان حدوث ذلك فى الملك صادرا عنك ، كنت مؤاخـذا بتفريطك فى الابتداء ، ومستدركا لتقصيرك فى الانتهاء ، فجبرت اساءتك باحسانك (٢٧/ب)، ومحوت قبيحك بجميلك ، وإن كان حدوثه من غيرك ، كانت جريرة الإساءة عليه . وكان حمد الاحسان لك . وبأن بك سوء أثره وبأن به جميل أثره . وقد روى عطاء بن السائب عن أبيه عن ابن عمر عن النبى ﷺ قا . الخير كثير وقليل فاعله » (٣) . فقال بعض الحكماء « خير من الخير فاعله ، وشر من الشر فاعله » .

---

(١) ب ، ج . ناقصة .

(٢) ب ، ج زيادة .

(٣) حديث حسن رواه الخطيب البغدادى فى تاريخه عن ابن عمر السيوطى: الجامع الصغير ص ٢٥١ . كما رواه الطبرانى والعسكرى من حديث ابن عروة مرفوعا بلفظ الخير كثير وفاعله قليل الشيبانى . تمييز الطيب من الخبيث ص ٥٧ .

الفصل الرابع

فى الحذر

وأما الفصل الرابع : وهو الحذر ، فإن الدهر ثائر بطوارقة ، ومنافر بنوائبه ، يغدر إن وفا ويقبل إن هفا ، ولذلك قيل فى منثور الحكم : الدنيا مرتجعة الهبة ، والدهر حسود ولا يأتى على شىء إلا غيره (١) . وقال عبد الحميد : أصاب الدنيا من حذرها ، وأصابت الدنيا من أمنها (٢) . وقال عبد الملك بن مروان (٣) إحذروا (٢٨ / أ) / الجديدين (٤) ، فللأقدار أوقات تغضى عنها الأبصار ، فإذا صادفت طوارقه غر مسترسلا ، صار هدفا لسهامها الصوائب

---

(١) الماوردى ; أدب الدنيا والدين ، المطبعة البهية بمصر ، ١٣٢٠هـ ص ٤٧ ومن المعانى العربية سأل رسول ملك الروم كسرى أن يوصى صاحبه بما ينتفع به قال كسرى ; ألا يثق بأمر الدنيا فإنه لا عهد بها ولا استقامة . مسكويه : الحكمة الخالدة ص ٤٥ .

(٢) الماوردى أدب الدنيا والدين ص ٥١ .

(٣) عبد الملك بن مروان ، أحد خلفاء بنى أمية ، كان عالما عاقلا قوى الهيبة شديد السياسة حسن التدابير للدنيا . فى عهده ارتكب الحجاج باسمه كثير من المذابح صلب عبد الله بن الزبير بعد قتله ، ورمى الكعبة بالمنجنيق وتوفى عبد الملك ابن مروان عام ٨٦ هـ عن ستين عاما . الذهبى : دول الإسلام جـ ١ ص ٦٠ ، ٦١ وابن طباطبا ; الفخرى فى الآداب السلطانية ص ١١٠ ، ١١٤ وتاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٢١٤ / ٢٢٢ .

(٤) الجديدان : هما الليل والنهار ويسميان أيضا الملونان . ابن قتيبه ; أدب الكاتب ص ٣٨ .

وغرضاً (١) لمنافرة الحوادث والنوائب . وقد قال بعض الحكماء من أعرض عن الحذر والاحتراس ، وبنى أمره على غير أساس ، زال عنه العز ، واستولى عليه العجز (٢) . وإن قدم لطوارقه حذر المتيقظ ، وتلقاها بعدة المتحفظ ، رد بادرتها بعزم ذى حزم ، قد حلب أشطر دهره ، وقام بواضح عذره . وقال بعض الشعراء :

إن للدهر صولة فاحذرنها ٭ لا تبيتن قد أمنت الدهورا (٣)

ثم هو من بعد عذره مستسلم لقضاء لا يرد ، وقدر لا يصد . وقد روى أبو الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال « إحذروا الدنيا فإنها أسحر من هاروت (٢٨ / ب) وماروت » (٤) . وقيل لبعض الحكماء : من السعيد ؟ قال : من اعتبر بأمسه واستظهر لنفسه » (٥) . وقال بعض الشعراء :

---

(١) فى ا « عرضاً » .
(٢) الماوردى : الأمثال والحكم مخطوط ق ٤٣ ب ، ٤٤ ا .
(٣) البيت من قول سويد بن عدى بن زيد ، الماوردى : الأمثال والحكم ق ١٩ ب .
(٤) رواه ابن أبى الدنيا فى ذم الدنيا عن أبى الدرداء كما رواه البيهقى فى شعب الإيمان . السيوطى : الجامع الصغير ص ١١ والعجلونى : كشف الخفاء جـ ١ ص ٥٨ . ويذكر قول الذهبى لا ندرى من أبو الدرداء ، وقال النجم رواه البيهقى عن أبى الدرداء الرهاوى مرسلا ، وهو غير صحابى قطعا ، ووصله بعضهم عن رجل من الصحابة ، وقطع المناوى بضعف الحديث فى فيض القدير شرح الجامع الصغير جـ ١ ص ١٨٧ .
(٥) الماوردى : الأمثال والحكم ق ١٣ ا . وأدب الدنيا والدين ص ٥١ .

وحذرت من أمر فمر بجانبي ٭ لم يبكني ولقيت مالم أحذر (١).

والحذر حد يقف عنده ، إن زاد عليه صار جورا (٢) ، كما أن للأقدام حدا ، إذا زاد عليه صار تهورا ، والزيادة على الحدود نقص فى المحدود (٣) ، ولهما زمان إن خرجا عنه صار الحذر فشلا ، والإقدام خرقا ، وعيارهما (٤) معتبر بحزم العاقل ، ويقظة الفطن . وقد قيل فى منثور الحكم : أيدى العقول تمسك أعنة الأنفس (٥) . وقال بعض الحكماء : ليعرفك السلطان عند افتتاح التدبير بالحذر ، وعند وقوع الأمر بالجد .

والحذر يلزم من أربعة أوجه :

أحدها ، الحذر من الله تعالى فيما فرض .

الثانى ، الحذر من السلطان فيما فوض .

والثالث ، الحذر من الزمان فيما اعترض .

والرابع ، الحذر من غلبة الأعداء ومكر (٢٩ / ١) الدهاة .

الحذر من الله تعالى :

فأما الحذر من الله تعالى ، فهو عماد الدين الباعث على الطاعة . والحذر منه،

---

(١) الماوردى : الأمثال والحكم ق ٢٠ ا وقال البيت سهل بن حنطب .

(٢) ب ، حـ « خسورا » .

(٣) ا : « الحدود » .

(٤) ب ، حـ : « عارهما » .

(٥) الماوردى : الأمثال والحكم ق ٣١ وهو من أقوال ابن المعتز ، راجع عبد الرحمن عبد الله (٥٨٩ هـ) : كتاب المنهج المسلوك فى سياسة الملوك ص ٢٤ والإبشيهى : المستطرف فى كل فن مستظرف جـ ١ ص ١٧ .

(٦) ب ، حـ : لم تردعه .

هو الوقوف على أوامره والانتهاء عن زواجره، فيعمل بطاعته فيما أمر ،وينتهى عن معصيته فيما حظر . فلن ترى قليل الحذر إلا متجوزا فى دينـــه ، طامحا فى غلوائه ، لا يرى رشدا فى العاجل ، وهو على وعيد فى الآجل ، مع نفور النفس، منه ، وسراية النم فيه . وقد قيل فى بعض الصحف الأولى ، العزة والقوة يعظمان القلب ، وأفضل منهما خوف الله تعالى ؛ لأن من لزم (١) خشية الله تعالى (٢) لم يخف الوضيعة ، ولم يحتج إلى ناصر . وقال على بن أبى طالب رضى الله عنـه . « من حاول أمراً بمعصية الله كان أبعد لما رجا ، وأقرب لمجىء ما اتقى » (٣) . وقال بعض الحـكماء ، خير الأخلاق أعونها على الورع (٤) . وقال (٢٩/ب) بعض السلف ، إنما لك من دنياك ما أصلحت به مثواك (٥) .

وقال البحترى(٦) .

---

(١) ب ، ج ، لم تردعه .

(٢) ب ، ج « تعالى » ، ناقصة .

(٣) الماوردى الأمثال والحـكم ق ٣٨ ب .

(٤) من أمثال الهند بيدبا الفيلسوف ، كليلة ودمنة ترجمة عبدالله بن المقفع من الفارسية ط ١٩٢٥ ص ٧٧ .

(٥) من أقوال الأحنف بن قيس بن نباته المصرى ، شرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون تحقيق محمد أبى الفضل ، دار الفكر العربى ص ١١١ .

(٦) هو أبو عبـادة الوليد بن عبيد الطائى الشاعر المطبوع ، أشهر من استحق لقب شاعر ولد ٢٠٦ هـ ، لازم أبا تمام وتخرج على يديه ، وغلبت عليه فصاحة ، وخرج إلى العراق ، وخدم المتوكل والفتح بن خاقان ومات ٢٨٤ هـ . ابن المعتز : طبقات الشعراء تحقيق عبد الستار احمد فراج ، ط ٢ دار المعارف ص٣٩٣ ، ٣٠٤ والاصفهانى . الأغانى ط دار الكتب جـ ١٨ ص ١٦٧ والخطيب البغدادى . تاريخ بغداد جـ ١٣ ص ٤٧٦ .

يا جامعا مانعا والدهر يرمقـه   مفكرا أى باب فيه يغلقه[1]
جمعت مالا ففكر هل جمعت له   ياجامـــع المـال أياما تفرقه

٢ ـ الحذر من السلطان

وأما الحذر من السلطان ، فهو وثاب بقدرته ، متحكم بسطوته ، يميـل به الهوى فيقطع بالظن ويؤاخـذ بالإرتياب ، فالثقة به عجز ، والاسترسال معه خطر . وقد قيل ، ثلاثة لا أمان لهم ، السلطان والبحر والزمان[2] . وقيل ، إذا تغير السلطان تغير الزمان[3] . والحذر منه فى حالتى السخط والرضا أسلم ؛ لأنه يستذنب إذا مل ، حتى يصير المحسن عنـده كالمسىء ، فاستخلص رأيه بالنصح (٣٠ / ا) واستدفع تنكره بالحذر . وقد قال بعض الحـكماء ، أصحب السلطان بثلاث ، الحذر ، ورفض الدولة ، والاجتهاد فى النصح [4] .

وحذرك فيه يكون بثلاثة أمور :

أحدها : أن لا تعول على الثقة به [5] فى ادلال واسترسال ، فما جرت الثقة إلا ندما ، كما قال الشاعر :

---

(١) ب ، جـ ، « يطرقه » .

(٢) الثعالبى ، التمثيل والمحاضرة ، ط الحلبى ص ١٣١ ولدى ابن قتيبة ، عيون الأخبار فى المجلد الأول ص ٢٣١ فى كتاب للهند ، ثلاثة أشياء لا تنال إلا بارتفاع همة وعظيم خطر ، عمل السلطان ، وتجارة البحر ، ومناجزة العدو .

(٣) الثعالبى ، التمثيل والمحاضرة ص ١٣١ .

(٤) الجيشهارى (٣٣١ هـ) ، الوزراء والـكتاب ، حققه مصطفى السقا وآخرون، ط الحلبى ص ٨ ، ٩ .

(٥) ب ، جـ « به » ساقطة .

ما زلت أسمع كم من واثق خجل حتى ابتليت فصرت الواثق الخجلا(١)

وقد قيل : الخرق الدلالة على السلطان ، والوثبة قبل الامكان (٢) . فاقبض نفسك إذا قدمك ، وتواضع له إذا عظمك ، واحتشمه إذا آنسك ، ولن له إذا خاشنك ، واصبر على تجنيه إذا غالظك . فهو على التجنى أقدر ، فكن على احتماله أصبر ، فربما كانت مجاملته لك مكرا ، وتجنيه عليك غدرا ، فقد قيل فى بعض الصحف الأولى : حب الملك (٣ / ب) وهواه يشبه الطل الذى ينزل على العشب (٣) . وقد قالت حكماء الهند : مثـــل السلطان فى قلة وفائه للأصحاب وسخاء نفسه عنهم مثل البغى والمكتب ، كلما ذهب واحد جاء آخر(٤) . والعرب تقول ، السلطان ذو عدوان وبدوان (٥) . فلا تجعل له فى إظهار تنكره عليك عذرا ، فربما اعترف بالحق فوفى ورق بالصبر فكف ، ولذلك قيل فى أمثال كليلة ودمنة ، صاحب السلطان كراكب الأسد يخافه الناس ، وهو لمركوبه أشد خوفا (٦) . وقد روى مصعب بن منصور عن عقبة بن عامر عن النبى ﷺ

---

(١) من أقوال ابن الحجاج (٣٩١ ﻫ) . الثعالبى : التمثيل والمحاضرة ص ١١٩ ونهاية الأدب ٣ ص ١٠٧ وتيمية الدهر ٣ ص ٩٥ .

(٢) المعنى من الحمق التباسط مع السلطان ، والهجوم قبل توافر الاستعداد والقدرة .

(٣)

(٤) ابن قتيبة . عيون الأخبار ج ١ ص ٢٥ .

(٥) ابن قتيبة . عيون الأخبار ج ١ ص ٢٥ يريدون بالمثل أنه سريع الانصراف كثير الهجوم على الأمور .

(٦) الثعالبى . التمثيل والمحاضرة ص ١٣١ .

أنه قال : السعيد من وعظ بغيره [١] . وقال شاعره حسان بن ثابت [٢] .

ولا تأمن الدهر الفشون فإننى   برأى الذى لا يأمن الدهر مقتدى[٣]

(ص ٣١/ا) وأما الثانى : فى حذرك منه : أن تساعده على مطالبه ، وتوافقه على مآربه[٤] ومشاربه ، ولا تصده عن غرض ، إذا لم يقدح فى دين ولا عوض ، ولا تتوقف [٥] عن اجابته وإن شغلك ما هو أهم ، فما يقيم لك عذرا إذا وجدك فى أغراضه مقصراً ، وإن كنت على مصالح ملكه متوفرا ، فانه اتخذك لنفسه ثم لملكه ، وقد يقدم حظ نفسه على مصلحه ملكه ، لغلبة الهوى وتنازع [٦]

---

(١) حديث صحيح رواه الطبرانى فى الصغير عن أبى هريرة راجع السيوطى . الجامع الصغير ص ١٧٧ كما رواه العسكرى فى الأمثال والقضاعى عن ابن مسعود مرفوعا العجلونى . كشف الخفاء جـ ١ ص ٥٤٨ والشيبانى . تمييز الطيب من الخبيث ص ٨٧ وقد ذكر الماوردى الحديث فى الأمثال والحكم ق ٣٥ ب .

(٢) حسان بن ثابت ، يكنى أبا الوليد ، وهو من خزرج أهل المدينة ، وقد عاصر الجاهلية والإسلام . واشتهر فى الجاهلية بمدح ملوك غسان وملوك الحيرة واختص بعد الاسلام بمدح النبي والدفاع عنه . مات فى خلافة معاوية سنة ٥٤ هـ عن مائة وعشرين عاما ابن قتيبة . الشعر والشعراء ط ١٣٢٢ هـ ص ٦٠ ، ٦١ الأصفهانى . الأغانى جـ ٤ ص ١٣٤ ، ١٧٠ .

(٣) الماوردى . الأمثال والحكم ق ٩ يسار .

(٤) ب ، جـ . « محابه » .

(٥) فى ا . « يتوقف » .

(٦) ب ، جـ . « نازع » .

الشهوة ، ولذلك قال النبي ﷺ : « حبك الشيء يعمى ويصم » (١) أى يعمى عن الرشد ، ويصم عن الموعظة ، فكن متوفرا على مراده ، ليسلم إعتقاده لك ، فإن قدحت أغراضه فى دين أو عرض ، سللت نفسك من وزرها ، وتحفظت من شينها بالتلطف فى كفه (٢) عنها بما يعتاضه بدلا منها ، ليسهل (٣) عليه اقلاعه عنها ، فإن ساعدك عليه سلم دينكما (٣١/ب) . وزال شينكما . وقد روى أبو حازم عن سهل بن سعد عن النبي ﷺ أنه قال : « إن لله (٤) خزائن للخير والشر مفاتيحها الرجال ، فطوبى لمن جعله مفتاحا للخير مغلاقا للشر ، وويل لمن جعله مفتاحا للشر مغلاقا للخير (٥) . وقال بعض الشعراء :

---

(١) الماوردى . الأمثال والحكم ٩ ب رواية بلال عن أبى بردة عن أبيه . كما رواه الإمام أحمد فى سنده وأبى داوود فى سننه والبخارى فى تاريخه عن أبى الدرداء الخرائطى ، وهو حديث حسن كما يذكر السيوطى . الجامع الصغير ص ١٣٤ وراجع العجلونى . كشف الخفاء جـ ١ ص ٤١٠ ، ٤١١ ويشير إلى أن العراق وابن حجر يقرران يكفى سكوت أبى داوود عليه فليس بموضوع ولا شديد الضعف .

(٢) ب ، جـ . (عفة) .

(٣) ا . « يسهل » .

(٤) غير موجودة فى النسخ وهى من النص وقد ذكرها الماوردى فى الأمثال والحكم ق ١٨ ب .

(٥) حديث ضعيف ، رواه ابن ماجه فى سنه والطيالسى فى مسنده كلاهما من حديث محمد بن أبى حميد بسنده عن أنس مرفوعا به ، وابن أبى حميد منكر الحديث . العجلونى : كشف الخفاء جـ ١ ص ٢٩٨ ، ٢٩٩ والشيبانى : تمييز الطيب من الخبيث ص ٤٦ .

ستلقى الذى قدمت للخير محضراً   وأنت بما تأتى من الخير أسعد (١)

وأن أصر عليها لنت فى متاركته ، وأحجمت عن مساعدته ، وهو خداع يتدلس بالمغالطة (٢) ويخفى بالحزم ، فاستنجد فيه عقلك ، واستعمل فيه حزمك ، لتسلم من تنكره وتخلص من وزره . فقد روى عن النبي ﷺ أنه قال : « إن من شرار الناس عند الله يوم القيامة عبداً أذهب آخرته بدنيا غيره (٣) . والثالث : فى حذرك (٣١/ ا) منه ، أن تذب عن نفسه وملكه بما استطعت من مال ونفس ، فإنك عن نفسك تذب ولها ترب ، لأنه لا يصلح حالك ، مع فساد حاله ، وأنت فرع من أصله ، وهو يسترسل لثقته بك ، ويستسلم لتعويله عليك ، فقابل ثقته بأمانتك ، واستسلامه بكفايتك ، ولا تلجئه أن يباشر دفع الخوف والحذر ، فيلجئك إلى ما هو أخوف وأحذر ، لأنك تخافه وتخاف ما يخافه ، فيتوالى عليك خوفان ويتوالى عليك خطران وقال الشاعر :

إن البلاء يطاق غير مضاعف   فإذا تضاعف صار غير مطاق

فادفع خوفك منه بدفاعك عنه ، تكن من الخوفين آمنا ، ومن الخطرين سالما ، وقد قال عاصم بن عمر بن الخطاب (٤) رضى الله عنهما :

---

(١) الماوردى : الأمثال والحكم ١٥ يسار .

(٢) ب ا « المخالطة » .

(٣) حديث صحيح ، رواه ابن ماجة فى سننه والطبرانى فى الكبير عن أبى أمامه الجامع الصغير للسيوطى ص٨٩ كما ذكره الماوردى فى الأمثال والحكم ٤ ا .

(٤) عاصم بن عمر بن الخطاب : ابن أمير المؤمنين الخليفة الثانى ، ولد قبل وفاة الرسول عليه السلام بسنتين ٨ هـ ، وكان خيرا فاضلا ، يكنى بأب عمر ـ وهو جد الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز لأمه وتوفى سنة ٧٠ هـ ابن عبد البر : الاستيعاب فى معرفة الأصحاب تحقيق على محمد البجاوى ج ٢ ص ٧٨٢ .

كأنك لم تنصب ولم تلق شدة إذا أنت أدركت الذى كنت تطلب(١)

(٣٢/ب) حقوق السلطان على الوزير .

واعلم أن لسلطانك عليك حقوقا لك عليه مثلها .

فحقوقه عليك ثلاثة :

احدها ، قيامك بمصالح ملكه . وهى أربع : عمـــارة بلاده ، وتقويم أجناده ، وتثمير مواده ، وحياطة رعيته .

والثانى ، من حقوقه عليك ، قيامك بمصالح نفسه وهى أربـــع : إدراك كفايته ، وتحمل عوارضه ، وتهذيب حاشيته واعداد ما يستدفع(٢) به النوائب .

والثالث ، من حقوقه عليك ، قيامك بمقاومة أعدائه وذلك بأربعة أشياء : تحصين الثغور ، واستكمال العدة ، وترتيب العساكر ، وتقدير الحدود . فأد حقوق سلطانه ، ووف شروط ائتمانه ، واحذر بادرة مؤاخذته إن قصرت ، وسطوة انتقامه إن فرطت ، فقد قيل فى منثور الحكم : من فعل ما شاء لقى ما لم يشأ(٣). وقال بعض البلغاء : من أولع بقبح المعاملة أوجع بقبح (٣٣/ا) المقابلة(٤) . واعلم أن بادرة الانتقام ي‍، أسرع من ظهور الانعام ، لأن الانتقام يصدر عن طيش الغضب ، والانعام يصدر عن أناة الكرم ؛ فربما هجم الانتقام قبل الحذر

---

(٥) الماوردى : الأمثال والحكم ق ٣ يسار .

(١) ب ، ج « استعداد ما يدفع » .

(٣) من أقوال سليمان بن داود راجع مفيد العلوم ومبين الهموم لأبى بكر الخوارزمى ص ٢٠٤ .

(٤) ب ، ج « إن تم » .

ان لم يكن على مداولة الحذر . ولذلك قال أبو زبيد الطائى (١) :

والخير لا يأتيك مجتمعا   والشر يسبق سيله مطره (٢) .

وقد قيل فى حكم الفرس : ما أضعف صاحب السلطان فى السلامة (٣) ، وذلك إنه إن عف جنى عليه العفاف عداوة الخاصة ، وان بسط يده جعل عليه البسط ألسنة المتنصحين ، فلزمك لذلك(٤) أن يكون حذرك أغلب من رجائك، وخوفك أكثر من أمنك ، ولئن تكدر بهما العيش فهما إلى السلامة أدعى . وقد قال بعض الحكماء : بالصبر على ما تكره تنال ما تحب ، وبالصبر على ما تحب تنجو مما تكره (٥) .

[٣٣/ب] حقوق الوزير على السلطان :

فأما ما يقابلها من حقوقك على سلطانه فثلاثة .

أحدها ، معونتك على نظرك ؛ وذلك بأربعة أشياء : تقوية يدك ، وتنفيذ

---

(١) هو المنذر بن حرمله من طيء ، وأدرك الاسلام ، ومات نصرانيا ، وكان من المعمرين ويقال إنه عاش خمسين ومائة سنه . ابن قتيبة : الشعر والشعراء ط الخانجى ١٣٢٢ هـ ص ٥٩ ، ٦٠ .

(٢) الماوردى : الامثال والحكم ق ٢٠ ب والعسكرى : جمهرة الأمثال جـ ٢ ص ١١ .

(٣) أبو بكر الخوارزمى : مفيد العلوم ومبيد الهموم ص ٢٠٤

(٤) ب ، جـ « بذلك » .

(٥) من أقوال عيسى بن مريم عليه السلام الماوردى : الأمثال والحكم ق ٧ أ وابن طلحه العقد الفريد للملك السعيد ص ٢٦

أمرك ، واطلاق كفايتك ، وأن لايجعل لغيره (١) عليك أمرا . وقد قال سابور ابن أزدشير فى عهده إلى ابنه هرمز : « ينبغى للوزير أن يكون قوى الأمر ، مقبول القول ، يمنعه مكانه منك من الضراعة لغيرك ، وتبعثه الثقة بك على بذل النصيحة لك ، ويشجعه ما يعرف من رأيك على مقاومة أعدائك ، واحذرك أن تنزل بهذه المنزله من سواه من خدمك (٢) .

والثانى من حقوقك عليه :أن تثق منه بأربعة أشياء : أن لا يؤاخذك بغير ذنب ، ولايطمع فى مالك من غير خيانة ، وأن لايقدم عليك من دونك ، ولا يمكن منك عدوا . عهد ملك إلى ابنه فقال : « إنك لن تصل إلى إحكام ما تريده من تدبير ملكك إلا بمعونة [٢٤ / ا] وزرائك وأعوانك، فاعنهم على طاعتك بمباشرتك ، وعلى معونتك بمساعدتك » (٣) .

والثالث من حقوقك عليه ، أن يحفظك فى منزلك فى أربعة أشياء :

أن لايرتاب بباطنك وظاهرك سليم ، فيؤاخذك بالظن ويعجز عن دفعه باليقين ، فليس يؤاخذ بضمائر القلوب إلا علام الغيوب . قيل لكسرى ابن قباذ : إن قوما من خواصك قد فسدت سرائرهم . فوقع : « أنا أملك الأجساد دون النيات ، وأحكم بالعدل لا بالرضى ، وأفحص عن الأعمال لا عن السرائر » (٤).

---

(١) فى ب ، حـ « لغيرك »

(٢) الجيشهارى (٣٣١ هـ) : الوزراء والكتاب ص ٥

(٣) ابن عبد ربه (٣٢٨ هـ) العقد الفريد تحقيق محمد سعيد العربان حـ ١ ص ٢٤

(٤) ابن قتيبة (٢٧٦ هـ) : عيون الأخبار حـ ١ ص ٨

والثانى ، أن لا يستبدل بك ونظرك مستقيم ، فيقل سعيك (١) ويضعف نشاطك . ولاتجد من نفسك نهوضا بما كلفك ، فإن دواعى الطبع أبلغ من مصنوع التكلف ، وقد اتخذك لاستقامة وجدها بك ، فاذا أضاع حقك بالاستبدال ظلم نفسه ، وكان من غيرك على خطر . وقد قال كسرى : « الوزارة [٣٤/ب] أبعد الأمور من أن تحتمل غير أهلها ، لأن الوزير من الملك بمنزلة سمعه وبصره ولسانه وقلبه ، لأنه مغلق الأبواب مستور عن الأبصار ، ليحفظه فى أمواله ، ويستر خلله فى أفعاله ، وحقيق بمن كان بهذه المنزلة أن يكون محفوظا وملحوظا . (٢)

والثالث ، أن لا يؤاخذك بدرك ما جره القضاء وساقه القدر ، فيجعلك غرضا فى معارضة خالقه ، وهل أنت فيه إلا كمثله ؟ فكيف تكون أفعال الله ذنوبا لعباده ؟! . وقد قال بعض الحكماء : الأمور تطلب بالعناء وتدرك بالقضاء (٣) . ولذلك قال رسول الله ﷺ : « إذا أراد الله تعالى فى انفاذ قضائه وقدره : سلب ذوى العقول عقولهم ، حتى ينفذ فيهم قضاؤه وقدره » . (٤)

---

(١) ب ، حـ : « فتقل تقتك »

(٢) الثعالبى (٤٢٩ هـ) : تحفة الوزراء ، مخطوط ق ٥

(٣) الماوردى : الأمثال والحكم ق ٣١ ب والثعالبى : التمثيل والمحاضرة ص ٤٦٧ .

(٤) حديث ضعيف ، أخرجه الديلمى من حديث ابن عباس مرفوعا وفى سنده سعيد بن سليمان بن حرب وهو متروك وفى الميزان أنه خبر منكر المناوى : شرح الجامع الصغير للسيوطى حـ١ ص ٢٦٨ ، والشيبانى : تمييز الطيب من الخبيث ص ١٢ والعجلونى : كشف الخفاء حـ ١ ص ٨٢ وذكره القضاعى (٤٥٤ هـ) : شهاب الأخبار ، مخطوط ق ٣٦ ب كحديث صحيح .

والرابع ، أن لايحملك ماليس فى قدرتك ، ولا يكلفك ماليس فى طاقتك ، فلا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، (٣٥/أ) وما ذلك إلا من دواعى التجنى ومبادىء التنكر . قال حكيم الروم : أول ما يبتدىء تغير الملك فى العين، فاذا ازداد خرج إلى اللسان ، فإذا ازداد خرج إلى اليد » . فقد وضح بهذه الجملة مقابلة حقوقك عليه بحقوقه . وقد قال المتقدم : « من طلب الحق بما عليه وله (١) أدركه » .

حقوق السلطان وحقوق الوزير :

غير أن حقوقك عليه موضوعة على المؤاخذة بأقلها ، لاستطالته عليك بالقدرة وقصورك عنه بالنيابة ، فكن على ما اقتضاها مناب الوزارة ، واعطه ما استحق سلطان الملك فنجح (٢) سعيك له إكداء (٣) سعيه عليك . وقد وصف موبذان موبذ (٤) فى كتاب الملوك فقال : هم ، أعينهم المصونة عندهم ، وآذانهم الواعية ، وألسنتهم الشاهدة(٥) . لانه ليس أحد أسعد من وزراء الملوك إذا سعدت الملوك، ولا أقرب إلى الهلكة من وزراء الملوك إذا هلكت (٣٥/ب) الملوك ، فترفع التهمة عن الوزراء إذا صارت نصائحهم للملوك نصائحهم لانفسهم ، ويعطيهم اليقين بهم من صار اجتهادهم للملوك اجتهادهم لانفسهم فلا تتهم روح على جسد ولا يتهم

---

(١) « له » ناقصة فى ب ، حـ

(٢) ب ، حـ : فينجح

(٣) أ : اكلاء

(٤) الموبذان : هو القائم بأمور الدين ، وهو قاضى القضاة المسعودى: مروج الذهب ص ١٨٦

(٥) ابن قتيبة : عيون الأخبار ، المجلد الأول ص ٤ والمسعودى: مروج الذهب ص ١٨٦

جسد على روح ، لأن زوال الفتهما (١) زوال نعمتهما ، والتئام الفتهما (٢) صلاح صاحبهما (٣) .

الحذر من الزمان :

واما حذرك من الزمان : فلأنه (٤) يتقلب بألوانه ، ويخشن بعد ليانه ، فيسلب ما أعطى ، ويفرق ما جمع .وقد روى أبو حازم عن أبي بكر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « أنظروا دور من تسكنون ، وأرض من تزرعون ، وفي طرق من تمشون »(٥) . وقال بعض الحكماء: الدنيا أن بقيت لك لم تبق لها(٦). وقيل في منثور الحكم : من عتب على الزمان طالت معتبته ، ومن لم يتعرض للنوائب تعرضت له » (٧) . وقال بعض البلغاء : إن الدنيا تقبل اقبال الطالب (٢٦/أ) وتتدبر ادبار الهارب (٨) . لا تبقى على حالة ولا تخلو من استحالة تصلح جانبا بافساد جانب ، وتسر صاحبا بمساءة صاحب ، فالركون فيها (٩)

---

(١) ب ، ح : الفهما
(٢) ب ، ح : الفهما
(٣) ا : خاصتهما
(٤) ب ، ح : فإنه
(٥) ذكره الماوردي في الأمثال والحكم ق ٣٤ ب
(٦) الماوردي : أدب الدنيا والدين ص ٩٧
(٧) الميداني : مجمع الأمثال ح ٢ ص ٢٢١ (٤) الماوردي : أدب الدنيا والدين ص ٥٦ و ص ٥٠
(٨) ا : بفساد والنص في أدب الدنيا والدين ص ٤٧
(٩) ا : بها

خطر ، والثقة بها غرر . وقد قال قيس بن الخطيم (١) :

ومن عادة الأيام أن خطوبها (٢) إذا سر منها جانب ساء جانب

كيفية الحذر من الزمان ؟

وحذرك من زمانك يكون من أربعة أوجه :

أحدها : ان لا تثق بمساعدته ، ولا تركن إلى مياسرته ، فتغفل عن الحذر والاستعداد ، فربما انعكس فافترس ، وخافض فاختلس .

وقد قيل : للدهر صروف لست عنها بمصروف . قال أبو العتاهية (٣) :

إن الزمان وإن ألان لأهـــله لمخاشن

فخطـوبه المتحـركات كأنهن سواكن

---

(١) هو قيس بن الخطيم بن عدى بن عمـرو بن سود بن ظفر ، ويكنى قيس ابا يزيد ، اسلمت زوجته حواء بنت يزيد بن سنان وكتمت اسلامها عنه، وعرض الرسول ﷺ عليه الاسلام فاستنظره حتى يقدم المدينة ، ووفى بوعده للرسول فى عدم مقاربة زوجته توفى عام ٦١٢ ميلادية الاصبهانى : الأغانى حـ ٣ ص ٢٨١ ، ومحمد بن حبيب : أسماء المغتالين تحقيق عبد السلام هارون ص ٢٧٤

(٢) ب ، حـ : صروفها والبيت وارد فى الأمثال والحكم ق ٥٤ أ وفى أدب الدنيا والدين ص ٦٢

(٣) هو اسماعيل بن القاسم بن سويد بن كسيان ،وكنيته أبو اسحاق، منشؤه بالكوفه ، من الشعراء المطبوعين ولا يقدر على جمع شعره لكثرته ، وأكثر شعره فى الأمثال والحكم ، وكان يتشيع علىمذهب الزيدية ولا يتعصب لأحد ولا يرى الخروج على السلطان ، وكان من المشهورين بالبخل الاصفهانى : الأغانى حـ ٤ من ص ١١٢/١

والوجه الثانى : أن تنتهز فرصة مكنتك ، بفعل الجميل وغرس الصنائع ، واسداء العوارف . ليكونوا لك ذخرا على النوائب ، (٣٦/ب) وخلفا فى العواقب ولا يهلك (١) استكفاؤك عن الاستظهار ، ولا يمنعك استغناؤك عن الاستكثار ، فقد قيل : المرء ابن يومه فليتنبه من نومه وروى عن النبى ﷺ أنه قال : اغتنم خمسا قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل عدمك، وفراغك قبل تشغلك ، وحياتك قبل موتك»(٢).

وقال سعيد بن مسلم :

إنما الدنيا هباة	وعوار مسترده
شدة بعد رخاء	ورخاء بعد شدة

والوجه الثالث : أن تكفه نفسك عن القبيح ، وتقبض يدك عن الاساءة ، لتكفى رصد الزّلات ، وغوائل الهفوات ، فتأمن من وجلك وتسلم من زللك ولا تتطاول بالقدرة ، فتغفل وأنت مطلوب ، وتأمن وأنت مسلوب، (٣٧/١) روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : «أتبع السيئة الحسنة تمحها» (٣).

---

(١) ب ، حـ : لا يلهيك

(٢) حديث حسن ، رواه الحاكم فى مستدركه والبيهقى فى شعب الايمان وأحمد ابن حنبل فى مسنده عن ابن عباس السيوطى : الجامع الصغير ص٤٣ والعجلونى : كشف الخفاء حـ ١ ص ١٦٧ يذكرون الحاكم قد صححه

(٣) حديث حسن راوه الترمذى ، كما رواه الإمام أحمد فى مسنده والحاكم فى مستدركه والبيهقى فى شعب الإيمان عن أبى ذر . وأصل الحديث: اتق الله حيثما كنت ، واتبع السيئة الحسنة تمحها ،وخالق الناس بخلق حسن .السيوطى : الجامع الصغير ص ٨ وقال الذهبى فى المذهب اسناده حسن . المناوى : شرح الجامع الصغير حـ ١ ص ١٢٠ ، ١٢١

وقيل فى بعض الصحف الأولى : ويل للأئمة لأن الشقاء لازم لهم إلى يوم وفاتهم والآب الآثم (١) يلعنه بنوه إذا كانوا صالحين ، لأنهم يعيرون به» . وقال بعض الحكماء : باعتزالك الشر يعتزلك ، وبالنصفة يكثر الواصلون . » (٢) وقال مضرس بن ربعى (٣) وهو من الأمثال السائرة :

الخير أبقى وان طال الزمان به   والشر أخبث ما أوعيت من زاد

والوجه الرابع : أن تستعد لآخرتك ، وتستظهر لمعادك ، ولاتغتر بالأمل فيجئك الفوت ، ولا تلهك الدنيا فتصدك عن الآخرة ، فقل من لابسها فسلم من تبعاتها لهفوات (٤) غرورها ، وعواقب شرورها . روى عن النبي ﷺ أنه قال: ياعجبا كل (٣٧/ب) العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور (٥). وقيل فى منثور الحكم : طلاق الدنيا مهر الجنة (٦) . فكفر معاصيها بالتوبة وأجبر

---

(١) ا : اللئيم

(٢) الماوردى : أدب الدنيا والدين ص ١٥٤ وأيضا الأمثال والحكم ق ١٧

(٣) لم نصل إليه

(٤) ا : لمدفوات

(٥) ذكر الماوردى فى الأمثال والحكم ق ٢٧ ب برواية عمر بن مرة عن أبى جعفر رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ . ويؤيد حسن هذا الحديث ما أورده ابن حبان فى صحيحه والحاكم عن أبى ذر فى حديث طويل من الرسول فى صحف ابراهيم وموسى وتضمن : عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم اطمأن لها ، وعجبت لمن أيقن بالحساب غدا ثم لايعمل

(٦) ابن مسكوية . الحكمة الخالدة تحقيق عبد الرحمن بدوى ص١٥٣ ويسندها إلى بشر بن الحارث وهى من اقوال ابن المعتز راجع ابن سهل العسكرى : كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ص ٢٤١

مساويها بالطاعة ، ولا تضيع حظك فيها ، ولا تنس نصيبك منها ، وأحسن كما أحسن الله إليك . روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : الناس غاديان ، فغاد نفسه فمعتقها ، وموثق نفسه فموبقها ، (١) . روى أبو موسى عن النبي ﷺ أنه قال : على كل مسلم صدقة. قالوا : فان لم يجد؟ قال : يعين ذا الحاجة الملهوف. قالوا : فإن لم يفعل ؟ قال : يأمر بالمعروف وينه عن المنكر .. قالوا : فان لم يفعل. قال : يمسك عن الشر فانها صدقة ، (٢) .

الحذر من اهل الزمان :

وأما الحذر من أهل الزمان: فلأن الإنسان محسود بالنعمة، مغبوط بالسلامة والناس على (١/٣٨) أربعة أطوار متباينة : ـ

أحدها : خير عاقل يسالم بخيره ويساعد بعقله ، فالظفر به سعادة والاستعانة به توفيق ، فاجتهد أن لا يفوتك ـ وان كان قليل الوجود ـ لتحظى بخيره وتسعد بعقله . وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: واسترشدوا العاقل ترشدوا، ولا تعصوه فتندموا ، (٣) .

---

(١) ذكره الماوردى فى الأمثال والحكم ق ١٤ ب وأيضاً فى أدب الدنيا والدين ص ٤٦ ولم نقف عليه فى كتب الصحاح أو الموضوعات

(٢) حديث صحيح رواه الامام البخارى عن سعيد بن أبى بردة عن أبيه عن جده بلفظ « على كل مسلم صدقة فقالوا: يانبى الله فمن لم يجد؟ قال يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق . قالوا : فإن لم يجد ؟ قال : يعين ذا الحاجة الملهوف . قالوا : فإن لم يجد ؟ قال : فليعمل المعروف ، وليمسك عن الشر ، فإنها له صدقه ، راجع صحيح البخارى طبعة الشعب ح ٢ ص ١٤٣

(٣) ذكره الماوردى فى الأمثال والحكم ق ١٠ ب برواية سهل بن أبى صالح =

وقال بعض الحكماء :من خير الاختيار صحبة الأخيار ، ومن شر الاختيار صحبة الأشرار:(١) وقل أن يكون العاقل الخير إلا متحليا بالعلم متزينا بالأدب. وقد قال بعض الحكماء: لا أدب إلا بعقل ولا عقل إلا بأدب(٢) ، ومثلها كمثل الروح والجسد ، فالجسد بغير روح صورة ، والروح بغير جسد ريح ، فاذا اجتمعا قويا ونهضا(٣) وانهضا فاذا أظفرك الزمان بمن تكاملت فضائله(٣٨/ب)، وتهذبت خصائله ، فاتخذه ذخيرة نوائبك ، وعدة شدائدك ، تجده كفيل صلاحها وزعيم نجاحها .

قال الحواريون لعيسى بن مريم عليه السلام : من نجالس؟ قال : من يزيد فى علمكم منطقة ، ويذكركم الله رؤيته ، ويرغبكم فى الآخرة عمله ، (٤) .

= عن ابنه عن أبى هريرة رضى الله عنه . ويذكر السيوطى فى الجامع الصغير ص ٣٦ رواه الخطيب البغدادى فى تاريخه من رواية مالك عن أبى هريرة ويقول عنه السيوطى إنه حديث ضعيف

(١) الماوردى : أدب الدنيا والدين ص ٧٢ وكتاب كليله ودمنه لبيدبا الفليسوف الهندى ص ٩٦ بلفظ « إن صحبه الأخيار تورث الخير وصحبة الأشرار تورث الشر » وأبو بكر الخورازمى : مفيد العموم ومبيد الهموم ص ٢٠٤

(٢) ابن عبد البر (٤٦٣هـ) : بهجة المجالس وانس المجالس تحقيق محمد مرسى الخولى القسم الأول ص ١١٠ وعبد الرحمن بن عبد الله (٥٨٩ هـ) : المنهج المسلوك فى سياسه الملوك ص ٧ يذكر « الأدب صورة العقل ، فمن لا أدب له . لا عقل له ، ومن لاعقل له لاسياسة له ، ومن لاسياسة له لاملك له »

(٣) ب ، حـ : فنهضا

(٤) الامام أحمد بن حنبل : الزهد ص ٥٤ والجاحظ (٢٥٥هـ) البيان والتبيين تحقيق عبد السلام هارون الطبقة الثالثة ، حـ ١ ص ٣٩٩

والطور الثانى : شرير جاهل يضر بشره ويضل بجهله : فاحذر مخالطته ، أعم من السم ، وأنفذ من سهم . فشره بجهله منتشر يضعف إن توركك ، ويقوى إن شورك ؛ فاكفف شره بالابعاد ولا تقدره بالتقريب ؛ فيلحقك بضررى شره وجهله . وقد قيل فى منثور الحكم : من الجهل صحبة ذوى الجهل (١) . وقيل فى بعض أسفار بنى إسرائيل : ابعد عن الجاهل لتجد الراحة، فان حمل الرمل والملح والحديد أسهل من المثوى مع الرجل الجاهل ، وضرر الجهل أعم (٢) (٣٩/ ا) من ضرر الشر ؛ لأن قانون الشر معلوم ، وقانون الجهل غير معلوم . وقد قيل : الجاهل مفرط أو مفرط

والطور الثالث : خير جاهل يسالم بخيره ويضل بجهله ، فقارنه إن شئت لخيره ولاتستعمله لجهله . لتكون بخيره موسوما ومن جهله سليما . فقد قال عبد الحميد (٣) : لكل شىء لباب ولباب النفوس الالباب .

الطور الرابع : شرير عاقل وهو الداهية المكر ، يستعمل فى الخطوب إذا حزبت على حذر من مكروه ، ويتارك فى الدعة على استدفاع لشره (٤) . وقد روى عاصم عن ذرعن عبد الله بن مسعود عن النبى ﷺ أنه قال : إن الله يؤيد

---

(١) الماوردى : الامثال والحكم ق ٤٩ ا وأدب الدنيا والدين ص ٧٢

(٢) ا : أعم محذوفه

(٣) هو عبد الحميد الكاتب . وسبق التعريف به .

(٤) ب ، حـ : شره .

إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر(١) ومثل هذا يستكفى بمؤنة تمده. ومراعاة ترضيه فإنه كالسبع الضارى إن أجعته هاج ، وإن أشبعته لان ؛ (٣٩/ب) ليكون مذخورا للحاجة . فإن الزمان خطوبا لا تدفع إلا بشرار أهله . كما قال حذيفة بن اليمان(٢) لرجل : أيسرك أن تغلب شر الناس ؟ قال : نعم . قال : إنك لن تغلبه حتى تكون شرا منه . فتعده لخطوب الشر إذا طرقت فإنه بها أخبر ، وعلى دفعها أقدر ، ولأهلها أقهر ، فإن الحديد بالحديد يفلح (٣) . ويستكف إلى جنبها (٤) بما يدفع بادية شره ؛ ويقطع غائلة مكره ، وإن كانت ضراوة الشر أجذب ، فطباع النفوس أغلب . وقد قال بعض الحكماء : مخالطة الأشرار خطر ، والصبر على صحبتهم كركوب البحر الذى من سلم ببدنه من التلف فيه ، لم يسلم بقلبه من الحذر منه (٥) . فإن وجدت من هذا الداهية فتورا فى همته ، وقصورا فى منته ، كانت سراية مكره أوفر ، وتأثيره فى الخطوب (٤٠/أ) أيسر . وإن كان عالى

---

(١) حديث صحيح رواه الامام البخارى عن أبى هريرة صحيح البخارى جـ ٥ طبع الشعب ص ١٦٩ ، كما رواة الطبرانى فى الكبير عن عمرو بن النعمان بن مقرون ويشير السيوطى إلى أنه صحيح . الجامع الصغير ص ٦٥ والعجلونى : كشف الخفاء جـ ، ص ٢٧٣ ، ٢٧٤ .

(٢) حذيفة بن اليمان ، ويكنى أبا عبد الله ، صحابى ومحدث جليل توفى سنة ٣٦ هـ المعارف لابن قتبة ص ١١٤ وابن عبدالبر : الاستيعاب فى معرفة الأصحاب جـ ١ ص ٣٣٤ ، ٣٣٥ .

(٣) ابو عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤ هـ) : الأمثال بكتاب التحفة البهية ، قسطنطيه ١٣٠٢ ق ص ٢ (أ ٦ والعسكرى : جمهرة الأمثال ص ٢٢٩ .

(٤) أ : خبها .

(٥) الماوردى : أدب الدنيا والدين ص٧٢ .

الهمة قوى المنة يتطاول إلى معالى الأمور كانت سراية مكره أوفر ، وتأثيره فى الخطوب أكثر . فاعطه فى كل حال من أمريه من الحذر والسكون ؛ بحسب ماتقضيه همته وتبعث عليه منته ؛ ليكون قانونك مستقيما، ومن دهاء مكره سليما؛ لاينا لك خور من سرف ، ولااسترسال من تقصير ، وقد جعل الله لكل شىء قدرا . فهذا تفصيل مااشتمل عليه العقد والحل . والله أعلم (١).

---

(٨) الله أعلم : محذوفه من أ .

الفصل الخامس

التقليد والعزل

وأما تفصيل ما اشتمل عليه التقليد والعزل ، وهو الشطر الثانى .

انواع التقليد

فالتقليد على ضربين ، تقليد تقرير ، وتقليد تدبير .

١ - تقليد التقرير واقسامه :

فاما تقليد التقرير فهو فيما يستأنف انشاء قواعده، ويبتدىء تقرير(١) رسومه ، وهو على ثلاثة أقسام :

(٤١/ا) أحدهما : / أن يكون فى خاص يقدر الوزير على مباشرته ، فالوزير أخص بتقريره وأحق بتنفيذه ، لأنها أصول مؤيدة من خواص نظره ، فإن قلد عليها واستناب فيها ، كان تقصيرا منه فيما جل ومعذورا فيه إن قل . ولم يكن لمن قلده تنفيذ تقريره إلا عن إذنه ، وإلا كان عزلا خفيا ، لأنه يصير ملتزما وقد كان ملزما ، ومحكما وقد كان حاكما .

والقسم الثانى : أن يكون التقليد فيما بعد عنه ويمكن استيماره فيه ، فيجوز أن يستنيب فى تقريره ويكون موقوفا على امضاء الوزير وتنفيذه . ولايجمع المستناب بين الأمرين ليكون التقليد مقصورا على التقرير والتنفيذ ، كان (٤١/ا) فيه متجوزا إلا أن يؤمر به فيصير الأمر متجوزا / إلا عن اضطرار يزول معه حكم الاختيار .

---

(١) ا : تقرير محذوفه

والقسم الثالث : أن يكون التقليد فيما بعد عنه ويتعذر استيماره فيه ، فيجوز أن يستنيب فيه من يجمع بين تقريره وتنفيذه إذا تكاملت فيه ثلاث شروط :

أحدها : الكفاية التي تنهض بما في التقرير .

الثاني : الأمانة التي يكف بها عن الاسترشاء والخيانة .

والثالث : الهيبة(١) التي يطاع بها في التنفيذ .

بعد تكامل الشروط المعتبره في جميع الولايات وهي ثلاثة

العقل والديانة(٢) والمروءة .

فلا فسحة في تقليد من أخل بأحدها لقصوره على حقها وخروجه من أهلها . وإنما يختلف ماسواها باختلاف الولايات وإن كانت هذه مستحقة في (٤١/ب) جميعها . وقد قال كسرى أبرويز : من اعتمد على كفاة السوء / لم يخل من رأى فاسد ، وظن كاذب ، وعدوغالب(٢) . وقد قال بعض الحكماء : لاتستكفين مخدوعا عن عقله ، والمخدوع من بلغ به قدرا لايستحقه ، وأثيب ثوابا لايستوجبه .

---

(١) ب ، حـ : يجعل الهيبة في الترتيب قبل الأمانة .

(٢) يشترط في الوزير بل وفي كل من يتولى ولاية عامة الديانة . وهي أن يكون مسلما ، وفي كتابه الأحكام السلطانية : لايشترط في وزير التنفيذ أن يكون مسلما ، فيجوز أن يكون ذميا ، وقد أشرنا إلى نقد امام الحرمين أبي المعالي للجويني له في هذه المسألة ويبدو أن كتاب الأحكام السلطانية سابق على كتابه الوزارة ، وهذا يدل على أنه عدل عن رأيه في كتابه الأخير ، ولو كان كتاب الوزارة سابقا لاتهمه أبو المعالي الجويني بمناقضة نفسه ، وبهذا يكون أيضا كتاب غيات الأمم سابقا على كتاب الوزارة أو أن الكتاب لم يطلع عليه إمام الحرمين .

٢ - تقليد التدبير واقسامه

وأما تقليد التدبير : فهو النظر فيما استقرت رسومه ، وتمهدت قواعده،وهو مشترك بين الوزير وبين الناظر فيه . لكن يختص الوزير بالمراعاة(١) والناظر بالمباشرة(٢) .

وهو ضربان : أحدهما ، تدبير الأجناد .

والثانى : تدبير الأموال .

١ - تدبير الاجناد

فاما تدبير الأجناد فلا يستغنى الوزير عن تقليد سفير فيه، وان كانوا يلاقونه ليحفظ بالسفير حشمة وزارته ، ولايقف أغراض أجناده ، وقد يصان(٣) عن لغط كلامهم وجفوة طباعهم ، والأغلب على تدبيرهم الرأى (٤٢/ أ) والسياسة فيعتبر فى المختار / لهذا التقليد ستة شروط :

أحداها ، الهيبة التى تقودهم إلى طاعته ، لأنه يقوم بتدبير ذوى سطوة فاحتاج معهم إلى قوة الهيبة .

والثانى ، أن يكون من ذوى الرأى والسياسة ، ليقودهم برأيه إلى الصواب ويقفهم بسياسته على الاستقامة .

والثالث : أن يكون متواصلا إلى استعطاف القلوب واجتماع الكلمة، ليسلموا من اختلاف أو منافرة .

---

(١) ب ، ح : بمراعاته
(٢) ب ، ح : بمباشرته
(٣) ب ، ح : الصان

والرابع : أن يكون بينه وبين الأجناد مناسبة فى الطباع ومشاكلة فى الأخلاق يمتزجون بها فى الموافقة ولايختلفون فيها بالمباينة .

والخامس : أن يكون سليم الباطن صحيح المعتقد ، لأنه يصير أخص بهم ويصيرون أطوع له .

والسادس : ما اختلف باختلاف الحال ، فإن كان فى زمان السلم اعتبر (٤٢ / ب) فيه الأناة والسكون ، / وإن كان فى زمان الحرب اعتبر فيه الإقدام والسطوة ، ليكون مطبوعا على مايضاهى حال زمانه . فقد قيل : خير السجايا ما وافق الحاجة . فإذا ظفر بمن استكملها ـ وبعيد أن يظفر به إلا أن يعان بالتوفيق ـ وجب تقليده ، ولزمت مناصفته فى الحقوق التى له وعليه ليدوم ويستقيم . وقد قيل فى منثور الحكم : من قضيت واجبه أمنت جانبه[١] . وقيل أغن من وليته عن الخيانة ، فليس يكفيك من لم تكفه[٢].

٢ ـ تدبير الأموال

وأما تدبير الأموال : فالوزير يصان[٣] عن مباشرتها ، وإنما يحفظ دخلها بالهيبة والاستظهار ، ويضبط خرجها بالحاجة والاضطرار . وللتقليد على كل واحد منها شروط :

فأما شروط التقليد على مباشرة دخلها ، فخمسة شروط : /

(٤٣ / أ) . أحدها ، أن يكون مطبوعا على العدل ، لينصف وينتصف .

---

(١) أ : خيانته .
(٢) الحسن بن عبدالله : آثار الأول فى ترتيب الدول ص٧١
(٣) أ : مصان .

الثانى ، أن يكون متدينا بالأمانة ، ليستوفى ويوفى .

الثالث ، أن يكون كافيا ، ليضبط بكفايته ولا يضيع لعجزه .

الرابع ، أن يكون خبيرا بعمله ، يعرف وجوه موارده وأسباب زيادته .

والخامس ، أن يكون رفيقا بمعاملته غير عسوف ولا أخرق[١] . حكى عن الأسكندر كتب إلى معلمه ليستشيره[٢] فى عماله . فكتب إليه : إن من كان له عبيد فأحسن سياستهم فوله الجند ، ومن كانت له ضيعة فأحسن تدبيرها فوله الخراج[٣] . ووصف عمر بن عبد العزيز زيادا فقال : كان يجمع جمع الذرة[٤] ، ويحنو حنو الأم البرة , وهذه أحسن سيرة لعامل[٥] ، وألطف حالة لمامل ، يحظى به من ولاه . ويسعد به من ولى عليه ، وبمثلها يعم الصلاح وتتم الاستقامة.

(٤٣ / ب) شروط التقليد على مباشرة الخراج :

وأما شروط التقليد على مباشرة خرجها بعد الأمانة التى هى مشروطة فى كل ولاية ، فمعتبره بأحوال الخرج .

وينقسم ثلاثة أقسام :

أحدها ، ما كان راتبا عن رسوم مستقرة كأرزاق الجيوش والحواشى[٦] . فللتقليد عليه شرطان : معرفة مقاديرها ، ومعرفة مستحقيها.

---

(١) ا : خرق (٢) ا : يستشيره

(٣) الماوردى : أدب الدنيا والدين ص ٩٤ وابن عبد البر : بهجة المجالس القسم الأول ص ٣٢٧ .

(٤) الذرة صغار النحل المعجم الوسيط حـ١ ص ٣١٠

(٥) ا : بمعامل (٦) ب ، حـ : ساقطة الحواشى

والقسم الثانى ، ماكان عارضا عن أمور تقدمتها، والناظرمأمور بها كالصلات وحوادث النفقات .

فللتقليد عليه(١) شرطان : وقوفها على الأوامر ، ومعرفة أغراض الآمر .

والقسم الثالث . ماكان عارضا فوض إلى رأى الناظر، ووكل إلى تقديره(٢) كالمصالح والنفقات .

فالتقليد(٣) عليه أو فى شروطها ، لوقوفها على اجتهاده وتقديره(٤) فيحتاج مع الأمانة إلى ثلاثة شروط :

أحدها ، معرفة وجوه الخرج حتى لايصرف(٥) فى غير حق .

(٤٤/ ا) الثانى ، الاقتصاد / فيه حتى لايفضى إلى سرف ولا تقصير .

والثالث ، استصلاح الأثمان والأجور فى غير تحيف ولاغبن.

---

(١) ا : فيه

(٢) ب ، ج : تقريره

(٣) ب ج : والتقليد

(٤) ا : تقديره محذوفة

(٥) ا : ينصرف

العــزل

اسباب العزل :

وأما العزل فضربان :

أحدهما : ماكان فى غـــير سبب فهو خارج عن السياسة ، لأن للأفعال[1] والأقوال أسبابا إذا تجردت عنها كان الفعل عبثا والكلام لغوا لايقتضيه[2] رأى حصيف ، ولاتوجيه سياسة لبيب . وقد قيل : العزل أحد الطلاقين[3] . كما[4] أنه لايحسن الطلاق لغـير سبب كذلك لايحسن العزل لغير سبب . وإذا لم يثق الناظر باستدامة نظره مع الاستقامة عدل عنها إلى النظر لنفسه ، فما : الوهن على عمله . وما يكون هذا العزل إلا عن فشل أو ملل . وقيل : ليس [illegible] اء من سرك أن تسوءه (٤٤/ب) وقال بعض الحكماء : من حسن وداده / قبح استفساده[6]

والضرب الثانى : أن يكون العزل لسبب دعا إليه وأسبابه ثمانية أوجه :

أحدها ، أن يكون سببه خيانة ظهرت منه . فالعزل من حقوق السياسة مـع استرجاع الخيانة والمقابلة عليها بالزواجر المقومة ، ولايؤاخـــذ فيها بالظنون والتهم . فقد قيل : من يخن يهن .

---

(١) ا : الأفعال (٢) يقتضيه : محذوفة من ا

(٣) الماوردى : الأمثال والحكم ق ٤٩ والميدانى حـ١ ص٤٥٨

(٣) ب ، حـ : ناقصة «فى» (٤) ب ، حـ : فكما

(٥) ا : بغير (٦) الماوردى : الامثال والحكم ق ٢٥ ا

والوجه الثانى : أن يكون سببه عجزه وقصور كفايته ، فالعمل بالعجز مضاع وقد قيل : العجز نائم والحزم يقظان . وهو نقص فى العاجز وإن لم يكن ذنبا له[١] ، فلا يجوز فى السياسة اقراره على العمل الذى عجز عنه ، ثم روعى عجزه بعد عزله ، فإن كان لثقل ماتقلده من العمل جاز أن يقلد ماهو أسهل . وإن كان لقصور منته وضعف حزمه لم يكن أهلا لتقليد ولاعمل .

(٤٥/ ا) وقد روى/ عن عمر بن الخطاب[٢] رضى‌الله عنه أنه قال : لاتلزموا أنفسكم حق من لم يلزم نفسه حقكم .

والوجه الثالث : أن يكون السبب اختلال العمل من عسفه أو جزفه[٣] ، فهذا السبب[٤] زائد على الكفاية وخارج عن السياسة . والوزير المقلد فيه بين خيارين :

إما أن يعزله بغيره وإما أن يكفه عن عسفه وجزفه[٥] إن كف ، ويجوز أن

---

(١) ب ، حـ : له ساقطه

(٢) عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن قرط بن رزاح ابن عدى بن كعب بن لؤى ، أمير المؤمنين ، أبو حفص القرشى العدوى ، ولد بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة ، وكان من أشراف قريش ، وكانت له السفارة فى الجاهلية ، أسلم فى السنة السادسة من النبوة وله سبع وعشرين سنة ، وأعز الله به الاسلام . وتولى الخلافة بعد أبى بكر فى سنة ١٣ هـ ومات مقتولا بيد عبد المغيره بن شعبه سنة ٢٣ هـ السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ١٠٨ ، ١٢٨ والذهبى : دول الاسلام حـ ١ ص ١٣ ، ١٧ .

(٣) ب ، حـ : خرقه

(٤) ب ، حـ : العمل

(٥) ا : عليه السلام

يكون مرصدا لتقليد ماتدعو السياسة فيه إلى العسف(١) لمن شاق ونافر . فقد قيل . لكل بناء أس ولكل تربة غرس .

(٤٥/ب) والوجه الرابع : أن يكون سببه انتشار العمل به من لينه وقلة هيبته ، فهذا السبب موهن للسياسة . والوزير فيه بين خيارين :

إما أن يعزل بمن هو أقوى وأهيب ، وأما أن يضم إليه من تتكامل به القوة والهيبة ، وخياره فيه معتبر بالأصلح .

ويجوز أن يقلد بعد صرفه ما لايستضر فيه بضعفه. وقد قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه(٢) : لاخير في معين مهين ، ولا في صديق ضنين(٣) .

والوجه الخامس : أن يكون سببه فضل كفايته وظهور الحاجة إليه فيما هو أكثر من عمله ، فهذا أجمل(٤) وجوه العزل ، وليس بعزل في الحقيقة ، وإنما هو نقل من عمل إلى ماهو(٥) أجل منه ، فصار بهذا العزل زائدا في الرتبة ، وقد قال بعض البلغاء : الناس في العمل رجلان : رجل يجل به العمل لفضله ورياسته ، ورجل يجل بالعمل لنقصه ودناءته . فمن جل به العمل ازداد تواضعا ويسرا ، ومن جل بالعمل ازداد به ترافعا(٦) وكبرا (٧).

والوجه السادس : أن يكون سببه وجود من هو أكفأ منه ، فيراعى حال الأكفاء . فإن (٨) كان فضل كفايته مؤثرا في زيادة العمل به ،

---

(٤) ب ، حـ : خرقه
(٣) نهج البلاغة حـ٢ ص٦٩
(٥) ب ، حـ : عمل
(٥) ا : عليه السلام
(٤) ا : أكمل
(٦) ب ، حـ : شرفا
(٧) الماوردى : أدب الدنيا والدين ص١٠٦
(٨) ا : وإن

كان عزل الناظر به(١) من لوازم السياسة (٤٦/أ)، ولم يسغ فيها إقراره على عمله وإن لم يؤثر فى زيادة العمل كان عـــزل الناظر من طريق الأولى فى تقديم الأكفاء وتخير الأعوان أو إن جاز فى السياسة إقرار الناظر على عمله لنهوضه به وقد قيل : إذا ذهبت(٢) المميز هلك المبرز . (٣)

الوجه السابع : أن يكون سببه أن يخطب عمله من الكفاة من يبذل(٤) زيادة فيه ، فلا يجوز عزله ببذل(٥) الزيادة حتى يكشف عن سببها ، فربما تعرض(٦) بها الباذل لرغبة فى العمل ، أو لعداوة فى العامل، فإن لم يظهر لها بعد الكشف موجب لم يجز فى السياسة عزله بهذا البذل الكاذب ، وكان الباذل جديرا بالابعاد لابتداء بالأفعال(٧) ، فإن(٨) ظهر موجب الزيادة لم يخل من ثلاثة أقسام :

أحدها : أن يكون لتقصير الناظر فيجب عـــزله ، والوزير بعد عزله بين خيارين : اما أن يقلد (٤٦/ب) الباذل ، أو يقلد غيره من الكفاة .

والقسم الثانى : أن يكون موجبها فضل كفاية الباذل فيجب عزله بالباذل دون غـيره .

والقسم الثالث : أن يكون سببها عسف الباذل وجزفه ، فلايجوز فى السياسة عزل الناظر ولاتقليد(١٠) الباذل ، وربما(١١) مال إلى الزيادة من تغاضى(١٢) عن

---

(١) ب ، حـ : « عزل الناظر به » ساقطة (٢) ا : ذهب
(٣) أبو بكر الخوارزمى : مفيد العموم ومبيد الهموم ص ٢٠٤
(٥) ا : لبذل (٦) ب ، حـ : يخرجه
(٧) ا : بالأدغال (٨) ا : وإن
(٩) ب ، حـ : خرقه (١٠) ب ، حـ : تقريب
(١١) ب ، حـ : فربما (١٢) ب ، حـ : تعامى

العزل فعزل ، وقلد فصار هو العاسف[١] المجازف .

والوجه الثامن : أن يكون سببه أن الناظر مؤتمن فيخطب عمله ضامن ، فتضمين الأعمال خارج عن قوانين السياسة العادلة ؛ لأن المؤتمن عليها إذا كان كافيا استوفى ما وجب ، وكف عما لم يجب . وهذا هو العدل . والضامن إن ضمنها بمثل ارتفاعها لم يؤثر ، وان ضمنها بأكثر منه تحكم[٢] فى عمله وكان بين عسف أو هرب ؛ أنه[٣] ضمن ليغنم لا ليغرم . حكى أن المأمون عزم على تضمين السواد (٤٧ / أ) وعنده عبد الله بن الحسن العنبرى[٤] القاضى . فقال له : يا أمير المؤمنين : ان الله تعالى قد دفعها إليك أمانة ، فلا تخرجها من يدك قبالة . فعدل عن الضمان .

فهذا تفصيل ما تعلق بوزارة التفويض من عقد وتقليد وعزل .

---

(١) ا : الصادق
(٢) ا : يحكم
(٣) ب ، حـ : كأنه
(٤) عبد الله ابن الحسن الصوفى

الفصل السادس

وزارة التنفيذ

وأما وزارة التنفيذ : فهى أخص ، لقصورها عما اشتملت عليه وزارة التفويض واختصاصها من عموم التفويض بأربعة قوانين :

القانون الأول : السفارة بين الملك وأهل مملكته

فالفصل الأول من قوانينها : السفارة بين الملك وأهل مملكته ؛ لأن الملك معظم بالحجاب ، مصان [1] عن المباشرة بالخطاب ، فاقتضى أن يختص بسفير محتشم ووزير معظم ، يطاع فيما يورده عنه من الأوامر والنواهى ، ويهاب فيما يتحمله إليه من المطالب والمباغى ؛ ليكون للملك لسانا ناطقا ؛ وأذنا واعية : وهذه (٤٧ / ٢) / السفارة مختصه بخمسة أصناف :

أحدها : السفارة بين الملك وأجناده ؛ فيحملهم على أوامره ونواهيه ، وينتجز [2] لهم من الملك ما استوجبوه أو [3] سألوه ؛ ويحتاج فى سفارته معهم إلى أن يجمع بين اللين والعنف ، والخشونة واللطف لانقيادهم إلى طاعته بالرغبه والرهبة .

والثانى : السفارة بين الملك وعماله ، فيستوفى مناظرة [4] الأعمال ويتصفح أحوال الأعمال [5] ليستدرك خللا إن كان ويستديم صلاحا إن وجد ؛ ويحتاج فى هذه السفارة إلى استعمال الرهبة خاصة ، ليكفهم عن الخيانة ، ويبعثهم على الأمانه .

---

(١) ب ، حـ : مصون
(٢) ب ، حـ : يتنجز
(٣) ب ، حـ : « و »
(٤) ب ، حـ : نظارة
(٥) ب ، حـ : العمال

والثالث : السفارة بين الملك ورعيته ، ليتصدى لإنصافهم (١) ، ويصغى الى ظلاماتهم ، فيمضى ماتيسر له وينهى ماتعسر عليه . ويحتاج فى هذه السفارة إلى استعمال اللين واللطف ليصلوا إلى استيفاء الظلامة : (٤٨/أ) ويستدفعوا ذل الاستضامة

والرابع : السفارة فى استيفاء حقوق السلطنه التى للملك وعليه من غيرمباشرة قبض ولاتنقيص . ويحتاج فى هـذه السفارة إلى الرهبة فيما يستوفيه الملك ، وإلى اللطف فيما ينتجزه (٢)من الملك .

والخامس : السفارة فى اختيار العمال ومشارقة الأعمال ، لينهى حال من يرى تقليده وعزله من غير أن يباشر تقليدا ولاعزلا ؛ لأن التقليد والعزل داخل فى وزارة التفويض وخارج عن وزارة التنفيذ ، والملك هـو الذى يأمر بالتقليد والعزل إن لم يباشره .

وشروط هذه السفارة : أن يكون جيد الحدس ، صحيح الاختيار ، قليل الاغترار ، عارفا بكفاءة العمال ،ومقادير الأعمال ، ليحمد اختياره ويقل عثاره.

---

(١) ب ، ﺣ : بانصافهم

(٢) ب ، ﺣ : يتنجزه

الرأى والمشورة

والفصل الثانى من قوانين هذه الوزارة : (٤٨ / ب) أن يمد الملك برأيه ومشورته ، فإن الملك مع جزالة رأيه وصحة رويته محجوب الشخص عن مباشرة الأمـــور . فصار محجوب الرأى عن الخبرة بها . فاحتاج إلى بارز الشخص بالمباشرة ، ليكون بارز الرأى بالخبرة . فليس المشاهد كالغائب ، ولا المخبر كالمعاين ؛ ولذلك قال النبى ﷺ : « ليس الخبر كالمعاينة »[1] . والوزير أخص بهذه المرتبة ، فكان أحق بالرأى والمشورة . وذكر فى كتب الفرس : إن للوزير على الملك ثلاثا : رفع الحجاب عنه ، اتهام الوشاة عليه ، وافشاء السر إليه[2]. وقيل فى حكمة آل داود : الفضة والذهب يثبتان القدم ، وأفضل منها المشاورة الصالحـــة .

[ل]لوزير أن يستشير فيما يشاور فيه الملك إذا لم يكن سرا مكتوما ، وليس لغير [ا]لوزير (٤٩ / أ) أن يستشير فيما يستشار لوقوع الفرق بينهما من وجهين :

---

(١) حديث حسن رواه الحاكم فى مستدركه عن ابن عباس ورواه الطبرانى الأوسط عن أنس ورواه الخطيب البغدادى فى تاريخه عن أبى هريرة . الجامع الصغير للسيوطى ص ٢٧٢ وذكره الماوردى فى الأمثال والحكم ق ٥٢ أ بروايه سعيد بن جبير عن ابن عباس .

(٢) ابن قتيبة : عيون الأخبار ، المجلد الأول ص ٤٤ والجشهارى (٣٣١هـ) : الوزراء والكتاب ص ١٠

أحدهما: إن الوزير مختص من مصالح الملك بما يقصر(١) عنه من عداه، فلزمه من الاستظهار ما لا يلزم من سواه.

والثانى إن استشارة الوزير عائدة إلى مصالح الملك فعمت واستشاره غيره عائدة إلى رأيه فخصت .

ويختلف أهل الشورى باختلاف الأرب المقصود . كما قال الحكماء : شاوروا الشجعاء فى أولى العزم ، والجبناء فى أولى الحزم ؛ لتخرج من معرة تقصير الجبان . وتهور الشجعان ، ويتخلص لك من الرأيين نتيجة الصواب .

استشارة الملك للوزير

وللوزير فى المشورة حالتان :

أحدهما : أن يبتدئه الملك بالاستشارة ، فيلزمه أن يشير(٢) برأيه فيها سواء اختصت بملكه أو تعدته إلى غيره .وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه : ربما أخطا البصير قصده ، وأصاب الأعمى (٤٩ / ب) رشده(٣) .

وعلى الوزير منها حقان :

أحدهما : اجتهاد رأيه فى إيضاح الصواب .

والثانى : ابانة صحته بتعليل الجواب ، ليكون مجيبا(٤) ومحتجا ؛ فيكفى توهم الزلل ويسلم من مظنة الارتياب .

---

(١) أ : نقصر

(٢) أ : أن يشير ساقطة .

(٣) الجاحظ (٢٥٥ هـ) : البيان والتبين تحقيق عبد السلام هارون ط٣ جـ ٤ ص٩٣ ، والشريف المرتضى : منهج البلاغة جـ ١ ص ٢٨٠ ، ٢٨١ .

(٤) ب ، جـ : « مجيبا » ساقطة .

والحالة الثانية : أن يبتدىء الوزير بالمشورة على الملك ، فله فيها حالتان :

احداهما : أن لايتعلق بمشورته اجتلاب نفع ولااستدفاع ضرر فهذا تجوز(١) من الوزير وتبسط (٢) على الملك إن أنكره فبحقه ، وإن احتمله فبفضله ، فقد قيل : كثرة النصح تهجم على سوء الظن (٦) .

والثانية : أن يتعلق بمشورته اجتلاب نفع واستدفاع ضرر ، فإن اختص بالمملكة كان من حقوق الوزارة ، وإن تجاوزها (٣) كان من نصح الوزير . وعليه أن يذكر سبب ابتدائه ، ويوضح صواب رأيه ، واذا استقر الأحزم على ما (٥٠ / أ) اقتضاه الرأى لزمه فيما يؤدى به الاستشارة ويبدى (٤) به من المشورة أن يكتمه على كل خاص وعام لأمرين :

أحدهما : إن الرأى يجب أن يظهر بالأفعال دون الأقوال ؛ لأن ظهوره بالفعل ظفر (٥) وظهوره بالقول خطر . وقد قيل : من وهن الأمر اعلانه قبل احكامه (٦) .

والثاني: من أسرار الملك الذى يجب أن تكتم (٧) فى الصدور وتصان عن (٨)

---

(١) أ : يجوز (٢) أ : يبسط

(٣) من حكم اكثم الصيفى ، المفضل بن سلمه بن عاصم (٢٩١ هـ) : الفاضر تحقيق عبد العليم الطحاوى ومراجعة محمد على النجار ص٦٣ وابن مسكويه (٤٢١ هـ): الحكمة الخالدة ص٢٠٦ والعسكرى : جمهرة الأمثال ص ١١ .

(٤) ب ، ح : جاوزها (٥) أ : وبدى

(٩) ب ، ح : ضرر .

(٦) الماوردى : الأمثال والحكم ق ٤٩ أ

(٧) ح : يتكتم (٨) ب ، ح : فى

الظهور ، وليجمع (١) بين تأدية (٢) الأمانة وطلب السلامة ، فإن فى افشاء أسرار الملك خطرا به وبمن أفشاها. وقد قيل: كشف الأسرار من شيم الأشرار . ولذلك(٣) قيل : الواقية خير من الراقية(٤) . ولقل ما تعفوا الملوك من يفشى(٥) أسرارها لتردده بين خيانة وجناية . وأحسن أحواله فيها إن سلم أن يغض (٦) عنه(٧) فيذل ، أو يخفى فيقل(٨) . وقد قيل فى بعض أسفار (٥٠ ب) بنى إسرائيل : لسان الجاهل وقلبه واحد . وقيل فى منثور الحكم: لسان الجاهل مفتاح حتفه(٩) . ولذلك قيل : صدور الأحرار قبور الأسرار(١٠) . وقد يسعد بكتم أسرارهم من تعرى عن غيره من الفضائل ، وتجرد عما سواه من الوسائل ؛ لأنه قد صار خازنا لأهل الذخائر ، ومؤتمنا على أنفس الودائع ، إذ سلم من الادلال

---

(١) ب ، حـ : للجمع (٢) أ : بادية

(٣) ب ، حـ : فلذلك

(٤) يضرب هذا المثل فى اغتنام الصحة . الميدانى: مجمع الأمثال حـ٢ ص٥٩٥ ويتفق مع المثل الشائع : الوقاية خير من العلاج .

(٥) ب ، حـ : عمن يفشى (٦) ب ، حـ : يفض

(٧) ا : « عنه » ساقطة (٨) ب ، حـ : ويقل

(٩) من أقوال الامام على بن أبى طالب ، عبد الواحد محمد عبد الواحد (الشيعى) : مختارات من جوامع الكلم لأمير المؤمنين على بن أبى طالب تحقيق أحمد لطفى السيد ص ٥٣ وقيل إنه من أمثال المولدين الابشيهى (٨٥٢ هـ) : المستظرف حـ ١ ص ٣٦ .

(١٠) الماوردي : أدب الدنيا والدين ص ١٣٨ « قلوب العقلاء حصون الأسرار » .

بها . فلن تزل الأقدام عند الملوك بمثل الادلال . واقل مدل سلم من ذل . ولأن يزداد(١) انقباضا إذ بسطه فيزداد اكراما أولى بذى الحصافة من ضدها . وقد قيل : من بسطه(٢) الادلال قبضه الاذلال . وقد قيل فى منثور الحكم : إذا زادك الملك تأنيسا فزده اجلالا(٣) .

---

(١) ب ، ح : تزداد

(٢) من أقوال ابن المعتز: الثعالبي: التمثيل والمحاضرة ص١٣٢ وابن عبد البر : بهجة المجالس ص ٣٥.

(٣) المبرد : الكامل فى اللغة والأدب ح ١ ص ٨ والميدانى : مجمع الأمثال ح ١ ص ١٨٩ وابن عبد البر : بهجة المجالس وانس المجالس قسم ثانى ص ١٩٧ وللجلج المتردد . والعسكرى : جمهرة الأمثال ص ٢٤٣

عناية الوزير بالملك

والفصل الثالث من قوانين هذه الوزارة : (٤١ / ا) أن يكون عينا للملك ناظرة وأذنا سامعة ، ينهى ما شاهد على حقه ، ويخبر بما سمع على صدقه ، لأنه قد سوهم بالملك وميز بالاختصاص وندب للمصالح . فلزم أن يتخصص بمصالح الملك ، فيقوم مقامه فى مشاهدة ما غاب وسماع مابعد لتقدمه على من سواه ، وعليه فى ذلك ثلاثة حقوق :

أحدها : أن يديم الفحص عن أحوال المملكة حتى يعلم ما غاب كعلمه بالحاضر ، ويعلم ماخفى كعلمه بالظاهر ، فلا يتدلس عليه حق أمر من باطله ، ولا يشتبه عليه صدق قول من كذبه . فقد قيل : الحق أبلج والباطل لجلج . فان قصر فيها حتى خفيت أو استرسل فيها حتى تدلست كان مؤاخذا بجرم التقصير وجريرة الضرر .

والثانى : أن يعجل(١) مطالعة الملك بها ولا يؤخرها ، وإن جاز تأخير العمل بها ، لأن عليه الانهاء وليس عليه العمل . (٥١ / ب)(٢) وقد قيل فى حكمة آل داود عليه السلام: الذى يكتم جهله خير من الذى يكتم حكمته . وإذا كان منه بمنزلة عينه الناظرة وأذنه السامعة التى يتعجل العلم بها ، وجب أن يجرى معه على حكمها ليستدرك الملك ما يجب تعجيله ، ويقدم روية فيما يجوز تأخيره ، فإن أخر

---

(١) ب ، ح : لا يعجل (٢) ب ح : ذلك

الوزير أعلام الملك بها ، وقد حسم ضررها كان للنصيحة مؤديا ، ومن الملك على وجل ، ومن هذا الوجه خالف وزير التفويض فى قيامه بتدبيرها دون المطالعة بها ، لأن هذا(١) مقصور على الانهاء وذلك مندوب للعمل .

والثالث : يوضح له حقائق الأمور ويساوى فيها بين الصغير والكبير ، ولا يمايل قريبا ولا يتحيف بعيدا ، ولا يعظم من الأمور صغيرا ولا يصغر منها عظيما ، فان من خاف من صغار (٥٢/أ) الامور أن تصير كبارا أو من كبارها أن تعود صغارا ، أخبر بحقائقها فى المبادىء وذكر مايئول إليه فى العواقب ليكون فى المبادىء(٢) مخبرا ، وفى الغايات مشيرا (٣) . فإن أخبر بالغايات وأعرض عن ذكر المبادىء كان تدليسا لخبره بمشورته ، فلم يؤد الأمانة فى خبره ، وإن لم يخن(٤) فى مناصحته ، فكان(٥) بالانكار حقيقا وبالذم جديرا . وقد قيل : رب صبابة غرست من لحظة ، وحرب جنيت من لفظة(٦) .

---

(١) ب ، جـ : ذلك

(٢) أ : زائدة وساقطة من ب جـ   (٣) أ : مستترا

(٤) ب ، جـ : يكن   (٥) أ : فكان

(٦) الميدانى : مجمع الأمثال جـ ١ ص ٢٩١ من الأمثال المولدين بلفظ « رب صبابة من لحظة » « رب حرب شبت من لفظة » .

حرص الوزير على مصالح الملك

والفصل الرابع من قوانين هذه الوزارة : أن يفتدى راحة الملك بتعبه ، ويقى دعته بنصبه ، فلا يغيب (1) إذا أريد ، ولا يسأم إذا أعيد ، لأنه لسان الملك إذا نطق ، وعينه إذا رمق ، ويده إذا بطش ، فلا (٥٢ / ب) تبعد (٢) عن دعائه ، ولا تضجر من ندائه ؛ لأن عوارض الملك من هواجس أفكاره وتقلب خاطره . وقد يتجدد مع الأوقات مالا يعرف أسبابه . ولا يتعين (٣) أوقاته . فليكن على رصد منها حتى لا تقف به أغراض الملك فيفضى إلى نفور أو ضجر ، وهو من كل واحد منها على خطر . لأنه قد يؤاخذ بالجريرة قبل ظهورها ؛ ويعاقب على الصغيرة مثل كبيرها ، إذا حكم بالهوى ووثب بالقدرة ومن هذا الوجه خالف وزير التفويض الذى يجوز أن يتأخر لمباشرة (٤) الأمور ، عن مواصلة الحضور . وهذا الوزير مقصور على الحضور دون العمل فصار هذا أكثر نقلا ؛ وذلك أكثر عملا . وربما مل الملازمة فأعقبته أسفا إذا فارقها ؛ لأن فى ملازمته للملك نصبا يقترن بعز ، وفى متاركته (٥٣ / أ) راحة تئول إلى ذل ، وماهما فى التباين بقريب (٥) . فليختر لنفسه ماوافقها من عز يجتذبه بالكد ، أو ذل يئول اليه بالدعة . فإنه إن صبر على إرادة الملك ظفر بإرادته من الملك ، وهو على

---

(١) أ : فلا يعتب

(٢) ب ، حـ : فلا تبعد

(٣) ب ، حـ : ولا تتعين

(٤) ب ، حـ بمباشرة

(٥) ب ، حـ : وهما ماهما فى التباين

الضمان إن خالفها : وقد قال أنوشروان (١) : ما استنجحت الأمور بمثل الصبر ، ولا اكتسبت البغضاء بمثل الكبر . وقد قيل : من خدم السلطان خدمه الاخوان(٢). فاطرد على هذا التعليل : إن من تنكر له السلطان تنكر له الاخوان (٣) . لأنه متبوع على تحكمه ومساعد على توهمه .

فهذا ما اختص بقوانين وزارة التنفيذ بعد ما قدمناه من قوانين وزارة التفويض .

وزارة التفويض ووزارة التنفيذ :

ثم يختلفان فى أصل التقليد من ستة أوجه :

أحدها : أن الملك يقلد وزير التفويض فى حقوقه وحقوق رعيته ، ويقلد وزير التنفيذ ، فى حقوقه خاصة دون حقوق رعيته ؛ لأن وزير التفويض ينفذ الامور برأيه ووزير التنفيذ يمضيها بأوامر الملك وعن رأيه .

والثانى : ان وزارة التفويض تفتقر إلى عقد يصح به نفوذ أفعاله ، ووزارة

---

(١) أنوشروان : هو كسرى أنوشران ملك الفرس ، تولى الحكم بعد والده قباذ بن فيروز - وقتل مزدك وأتباعه ، وجمع أهل مملكته على دين المجوسية ، ودام ملكه ٤٨ سنة وتوفى ٥٧٩ م - المسعودى : مروج الذهب ط التحرير حـ ١ ص ١٩٩ و ٢٠٠ .

(٢) الثعالبى : التمثيل والمحاضرة ص ١٣١ وابن عبد البر : بهجة المجالس حـ ١ ص ٣٥٤ .

(٣) ب : ساقطة فى حـ خذله الاخوان .

(٤) ب ، حـ : ساقطة ، فى حقوق خاصة دون حقوق رعيته ؛ لأن وزير التفويض ينفذ الامور برأيه .

التنفيذ لا تفتقر إلى عقد لأنه فيها مأمور بتنفيذ ماصدر عن أمر الملك .

والثالث : أن وزير التفويض مأخوذ بدرك ماأمضاه . ووزير التنفيذ غير مأخوذ بدركه .

والرابع : أن وزير التفويض لا ينعزل الا بالقول أو مافى معناه دون المتاركة ؛ لأنه قد تملك بها مباشرة(٢) الأمور ، ووزير التنفيذ ينعزل بالمتاركة ؛ لأنه مأمور .

والخامس : أن وزير التفويض لاينعزل إن كف وترك حتى يستعفى الملك منها ؛ لأنه مستودع الأعمال فلزمه ردها إلى مستحقها ، ووزير التنفيذ (٤٥/أ) يجوز أن ينعزل بعزل نفسه بالكف والمتاركة ؛ لأنه لاشىء بيده فيؤخذ برده .

والسادس : أن وزارة التفويض تفتقر إلى كفاية السيف والقلم لنهوضه بما أوجبها ، ووزارة التنفيذ غير مفتقرة إليها لقصورها عنها ، وإنما يعتبر فيها ستة أوصاف وهى معتبرة فى كل مدبر ذى رياسة وهى : الأبهة ، والمنة ، والهمة ، والعفة ، والمروءة ، وجزالة الرأى (٣) . وقد كان أكثر وزراء الفرس وزراء

---

(١) ساقطة من ب ، حـ .

(٢) ب حـ : قد تملكها مباشرة .

(٣) الماوردى : الأحكام السلطانية ص ٢٦ ، ص ٢٧ تطلب فى وزير التنفيذ سبعة أوصاف : أحدها الأمانة حتى لايخون فيما قد أؤتمن علية ولايغش فيما قد استنصح فيه .

الثانى صدق اللهجة حتى يوثق بخبره فيما يؤديه ، ويعمل على قوله فيما ينهيه .

والثالث : قلة الطمع حتى لايرتش فيما يلى ولا يخدع فيتساهل .

الرابع : أن يسلم فيما بينه وبين الناس من عداوة وشحناء ، فإن العداوة تصد عن التناصف وتمنع من التعاطف .

تنفيذ ، وأكثر وزراء ملوك الاسلام ، وزراء تفويض . ووزراء التفويض استسلام ، ووزراء التنفيذ استمداد .

= الخامس : الذكاء والفطنة حتى لاتدلس عليه الأمور فتشتبه .
والسادس : أن يكون ذكورا لما يؤديه إلى الخليفة وعنه لأنه شاهد له وعليه .
والسابع : ان لايكون من أهل الأهواء .
وان كان وزير التنفيذ مشاركا فى الرأى احتاج إلى وصف ثامن وهو الحنكة والتجربة التى تؤديه إلى صحة الرأى وصواب التدبير .

الفصل السابع

الحقـوق

ثم تشترك الوزارتان بعد التميز فى حقوق وعهود .

حقوق الملك على الوزير :

فأما الحقوق فثمانية :

أحدها أن يكون بأعباء الوزارة ناهضاً ، وفى مصالح (٥٤/ب) المملكة راكضاً ، يقدم حظ الملك على حظ نفسه ، ويعلم أن صلاحه مقترن بصلاحه ، فلن تستقيم أحوال الوزير مع اختلاف أحوال [١] الملك لأن الفروع تستمد أصولها ولو استقامت لكان ميلها وشيكا . وقد قيل فى منثور الحكم : لا تقم بربع منتقم [٢] .

والثانى : أن يكون على الكد والتعب قادرا ، وفى السخط والرضا صابرا ، لا ينفر إن أوجس [٣] فإن نفوره عطب . وليتوصل [٤] إلى راحته بالتعب وإلى دعته بالنصب ؛ ولذا قيل علة الراحة قلة الاستراحة [٥] . وقال عبد الحميد : اتعب قدمك فكم تعب قدمك [٦] . فإن تشاغل براحته ومال إلى لذته سلبهما [٧] بالتنكر ، وعدمهما [٨] بالتغير ، فضاع وأضاع ، وكان من أمره على خطر .

---

(١) ب ، حـ : حال .

(٢) لم نقف على مصدر له .

(٣) ب ، حـ : إذا وحش .

(٤) ا : فليتوصل .

(٥) الماوردى : أدب الدنيا والدين ص ٢٢ .

(٦) الماوردى : أدب الدنيا والدين ص ٢١ ، ٢٢ والثعالبى : تحفة الوزراء ق ٨ ا .

(٧) (ب) ، حـ : سلبها .

(٨) ب ، حـ : عدمها .

وقد قيل فى منثور الحكم : على خطر من لم (٥٥ / ا) يخاطر فكيف بالمغرور المخاطر . وقد قيل فى بعض أسفار بنى إسرائيل : الذى يحب الشهوات يبغض نفسه(١) .

والثالث : أن يكون لإحسان الملك شاكرا ، ولإساءته عاذرا ، يشكر على يسير الإحسان ويعذر فى كثير (٢) الإساءة ، ليستمد بالشكر إحسانه . ويستدفع بالعذر إساءته . فإن عدل عنهما كان منه على ضدهما وقد قيل: أحق الناس بالمنع الكفور، وبالصنيعة الشكور (٣).

والرابع : أن يظهر محاسنه إن خفيت ويستر مساويه إن ظهرت ، لأنه بمحاسنه معلوم (٤) موسوم ، وبمساويه مقرون (٥) مرسوم ، يشاركه فى حمد محاسنه ، ويؤاخذ بذم مساويه . وربما استرسل الملك لثقته بالحجاب (٦) . فارتكب بالهوى ما يصان عن (٧) أذاعته . وكان (٨) الوزير أحق بستره عليه ، لأنه الباب المسلوك إليه ، مساتر غير مجاهر . فقد قيل : النصح بين (٥٥ / ب) الملأ تقريع (٩) .

والخامس : أن يخلص نيته فى طاعته ، ويكون سره كعلانيته ، فإن القلوب جاذبة تملك أعنة الأجساد ; فإن اتفقا وإلا فالقلب أغلب ، وهو إلى مراده أجذب ، كما قال الشاعر :

---

(١) أبو بكر الخوارزمى : مفيد العلوم ومبيد الهموم ص ٢٠٤ .

(٢) ا : كبير .

(٣) الماوردى : أدب الدنيا والدين ص ٩١و٩٢ .

(٤) ا : « معلوم » ساقطة .

(٥) ب ، ح : مقروف .

(٦) ب ، ح : الأحباب .

(٧) ا : « ما زائده » .

(٨) ا : فكان .

(٩) من أمثال المولدين أحمد الأبشيهى : المستظرف ج ١ ص ٣٥ .

وما زرتكم عمداً ولكن ذا الهوى ٭ إلى حيث يهوى القلب تهوى به الرجل

فاخلص قلبك ليطيعك جسدك ، واحسن سريرتك لتحسن علانيتك ، فإن القلوب تنم على الضمائر فتهتك أستارها ، وتذيع أسرارها [١] وقد روى مجاهد عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ : فى ابن آدم مضغة إذا صلحت صلح الجسد ، وإذا فسدت فسد الجسد ،ألا وهى القلب[٢]. وقد قيل فى بعض صحف بنى إسرائيل : الإنسان يغير وجهه خيرا كان أو شرا (٥٦ / أ) .

والسادس : أن لا يعارض الملك فيمن قرب فاستبطن ولا يماريه فيمن حط ورفع ، فإنه يتحكم [٣] بقدرته ، ويأنف فى معارضته. فربما انقلب بسطوته إذا عورض ، ومال بانتقامه إذا خولف ، فبوادر الملوك تسبق نذيرها وتدحض أسيرها ، فإن سلم من الخطر لم يسلم من الضجر ، ولو سلم منهما وهو نادر ، فمقت المعارض مركوز فى الغرائز ، وكفى بالمقت عقبى . وقال : بزرجمهر : يجب للعاقل أن لا يجزع من جفاء الولاة وتقديمهم الجاهل عليه،إذا كانت الأقسام لم توضع على قدر الأخطار ، فإن حكم الدنيا أن لا تعطى أحدا ما يستحقه ، الكن تزيده وتنقصه [٤] .

والسابع : أن يتقاصر عن مشاكلة الملك فى رتبته ويقبض نفسه عن مثل هيئته [٥] ، فلا يلبس مثل ملابسه ولا يركب مثل مراكبه (٥٦ / ب) ، ولا

---

(١) الجاحظ : التاج فى أخلاق الملوك تحقيق فوزى عطوى ، الشركة اللبنانية للكتاب ، ١٩٧٠ ، ص ١٠٠ .

(٢) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى العجلونى : كشف الخفاء ص ٤٣٨ جزء من حديث : الحلال بين .

(٣) ب ، حـ : يحكم .

(٤) الماوردى : الأمثال والحكم ق ٣٠ ب ومسكوية (٤٢١ هـ) : تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوى وينسبه إلى حكم الروم .

(٥) أ : هيبته .

يستخدم مثل خدمه ، فإن الملك يأنف إن موثل ، وينتقم إن شوكل ؛ ويرى أنها من أحواله المجتاحة ، وحشمته المستباحة ، وليعيض (١) عنها بنظافة لباسه وجسده من غير تصنع ، فإن النظافة من المروءة والتصنع للنساء ، ليكن بالسلامة محفوظا ، وبالحشمة ملحوظا .

والثامن : أن يستوفى للملك ولا يستوفى عليه ، ويتأول للملك ولا يتأول عليه ، فان الملك إذا أراد الانصاف كان عدل أقدر ، وإن لم يرده فيد الوزير معه أقصر ، وإنما أراد الوزير عونا لنفسه ، ولم يرده عونا على نفسه ، فان وجد إلى مساعدته سبيلا سارع إليها ، وإن خاف ضررها وانتشار (٢) الفساد بها تلطف فى كفه عنها إن قدر ، فإن (٣) تعذر عليه تلطف فى الخلاص منها إن قدر ، [٥٧/ا] ولا يجهر بالمخالفة ما كان على رغبته فى النظر . سئل بعض حكماء الروم: عز أصلح ما عوشر به الملوك . فقال : قلة الخلاف وتخفيف المؤنة ، فلذلك لم تصحب الملوك على اختيارهم ، ولم يتمسكوا إلا بمن وافقهم على آرائهم . وليس لمن خالفهم حظ منهم . وإنما (٤) كان على خطر معهم ، وإذا روعيت أحوال الناس وجدوا لا يأتلفون إلا بالموافقة فكيف بذوى القدرة من الملوك وقد قال الشاعر :

الناس إن وافقتهم عذبوا ... أو لا فان جناهم مر

كم من رياض لا أنيس بها ... تركت لأن طريقها وعر (٥)

وقال بعض الحكماء : حرز الناس ثلاثة : الفة تجمعهم ، وطاعة تمنعهم ، ومناصحة تنفعهم ، فإنهم إن تفرقوا تفرقت [٥٧/ب] أمورهم ، وإن عصوا ظهر نفورهم ، وإن لم يناصحوا وغرت صدورهم .

---

(١) ا : ليفيض .

(٢) ا : واستنشار

(٣) ب ، حـ : وإن

(٤) ا : وربما

(٥) الماوردى : أدب الدنيا والدين ص ٧٠

الفصل الثامن

العهود

فأما العهود الموقظة ، فسأقول وأرجو أن يقترن بالقبول :

وصايا للوزير :

١ ـ طاعة الله وطاعة السلطان :

اجعل أيها الوزير لله تعالى على سرك رقيبا يلاحظك من زيغ فى حقه، واجعل لسلطانك على سرك رقيبا يكفك عن تقصير فى أمره ، ليسلم دينك فى حقوق الله تعالى ، وتسلم دنياك فى حقوق سلطانك ، فتسعد فى عاجلتك وآجلتك. فإن تنافى اجتماعهما لك ، فقدم حق الله تعالى على حق الملك ، فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق. وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «من أحب دنياه أضر بآخرته، ومن أحب آخرته أضر بدنياه، فآثروا ما يبقى على ما يفنى»(١). وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «من التمس رضى الله بسخط الناس رضى الله عنه وأرضى عنه الناس»(٢). وقال بعض [٥٨/أ] الحكماء : كل امرىء يجرى من عمره إلى غاية تنتهى إليها مدة أجله ، وتنطوى عليها صحيفة

---

(١) حديث صحيح ، رواه الامام أحمد فى مسنده والحاكم فى مستدركه عن أبى موسى الأشعرى السيوطى الجامع الصغير ص ٢٩٥ وذكره الماوردى فى الأمثال والحكم برواية عبد المطلب بن حنطب عن ابن موسى الاشعرى ق ٢٧ ب كما رواه الطبرانى والقضاعى أيضا العجلونى : كشف الخفاء جـ ٢ ص ٣٠٧ والشيبانى : تمييز الطيب من الخبيث ص ١٥٤.

(٢) حديث حسن رواه الترمذى فى جامعه الصحيح وأبى نعيم فى الحلية عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها السيوطى ، الجامع الصغير ص٢٩٧ . كما رواه القضاعى . العجلونى ، كشف الخفاء جـ٢ ص ٣٢٥ .

عمله ، فخذ من نفسك لنفسك ، وقس يومك بأمسك »(١). وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يتمثل بهذه الأبيات :

إنما الناس ظاعن ومقيم   فالذى بان للمقيم عظه
ومن الناس من يعيش سوياً   ساهر الليل عامل اليقظه
وإذا كان ذا حياء ودين   حاذر الموت واستحى الحفظه

٢ ـ الأعوان : بين الاختبار والاختيار :

حق عليك أيها الوزير أن تكون لاعوانك مختبرا(٢) ولاحوالهم(٣) متطلعا وبهما(٤) على نفسك وعليهم مستظهرا ، لأنهم من بين من تسوسه وتستعين بهم لتعم ما فيهم(٥) من فضل ونقص ، وعلم وجهل ، وخير وشر ، وتتحرز(٥٨/ب) من غرور المتشبه وتدليس المتصنع ، فتعطى كل واحد حقه ولاتقصر بذى فضل ولاتعتمد على ذى جهل . فقد قيل : من الجهل صحبة ذوى الجهل ومن المحال مجادلة ذوى المحال(٦) . وافرق بين الأخيار والاشرار . فان ذا الخير يبنى وذا الشر يهدم . واحذر الكذوب فلن ينصحك من غش نفسه، ولن ينفعك من ضر دا. وقد قيل : من ضيع أمره ضيع كل أمر ومن جهل قدره جهل كل قدر . ولاتستكفين عاجزا فيضيع العمل ، ولاشرها فيضرك باحتياجه(٧) . وقد قيل :

---

(١) الماوردى ، الأمثال والحكم ق ٤٣ ا وأبو حيان التوحيدى ، الامتاع والمؤانسه حـ٢ ص ٦١

(٢) ب ، حـ ، بالرعية خبيرا   (٣) ب ، حـ ، وإلى أحوالهم

(٤) ب ، حـ ؛ وبهم   (٥) ب ، حـ ؛ ما فيه

(٦) الماوردى ؛ الأمثال والحكم ق ٤٩ ا وأدب الدنيا والدين ص٧٢ والمحال أصحاب الجدال والمكر .   (٧) ب ، حـ ؛ باحتياجاته

ليعد من البهائم من لم تكن غايته من الدنيا إلا نفسه(١). ولا تعبأ(٢) بمن لا يحافظ على المروءة ، فقل ماتجد فيه خيرا لزهده فى صيانة نفسه وميله إلى خمول القدر ، وبعيد ممن أسقط حق نفسه أن يقوم بحق غيره ، وصعب على من (٥٩/ ا) ألف اسقاط التكاف أن يحول عنه . وقد قيل فى حكم الهند : ذو المروءة يرتفع بها ، وتاركها يهبط ، والارتقاء صعب والانحطاط هين ؛ كالحجر الثقيل الذى دفعه عسير وحطه يسير (٣) . وقال بعض البلغاء : أحسن رعاية ذوى الحرمات وأقبل على أهل المروءات ، فإن رعاية «ذوى» الحرمة ، تدلعلى كرم الشيمة ، والاقبال على ذوى المروءة ، يعرب عن شرف الهمة (٤) .

اختبر أحوال من استكفيته لتعلم عجزه من كفايته ، وإحسانه من إساءته ، فتعمل بما علمت من إقرار الكافى ، وصرف العاجز ، وحمد المحسن ، وذمالمسىء . وقد قيل : استكفى الكفاة ، كفى العداة (٥) . فإن التبست (٦) عليك أمورهم

---

(١) أبو بكر الخوارزمى : مفيد العلوم ومبيد الهموم ص ٢٠٤ .

(٢) ب ، جـ : ولا تعنى .

(٣) بيدبا الفيلسوف الهندى : كتاب كليلة ودمنة ترجمة عبد الله بن المقفع، كتاب الشعب ص ٣٥ . «إن المنازل متنازعة مشتركة على قدر المروءة ؛ فالمرء ترفعه مروءته من المنزلة الوضيعة إلى المنزلة الرفيعة ؛ ومن لا مروءة له يحط نفسه من المنزلة الرفيعة إلى المنزلة الوضيعة ، وإن الارتفاع إلى المنزلة الشريفة شديد ، والانحطاط هين ، كالحجر الثقيل : رفعه من الأرض إلى العاتق عسر ووضعه إلى الأرض هين» .

(٤) الماوردى : أدب الدنيا والدين ق ٤٣ ا .

(٥) الماوردى : الأمثال والحكم ق ٢٥ ا .

(٦) ا : البست .

أو هنت الكافى ، وسلطت العاجز ، وأضعت المحسن ، وأغريت المسىء . ولأن يكون (٥٩/ب) العمل خاليا (١) فينصرف اليه فكرك ، أولى من أن يباشره عاجز أو خائن فيقبح بهما أثرك ، فاحذر العاجز فإنه مضيع ، وتوق الخائن فإنه يكدح لنفسه . وقال الشاعر :

إذا أنت حملت الخئون أمانة فإنك قد أسندتها شر مسند(٢)

اقتصر من الأعوان بحسب حاجتك إليهم ، ولا تستكثر منهم لتتكثر بهم ، فلن يخلو الاستكثار من تنافر يقع به الخلل ، أو تعاف (٣) يتشاكل به العمل ، ليكن(٤) أعوانك وفق عملك ، فإنه أنظم للشمل ، واجمع العمل ، وأبلغ للاجتهاد ، وأبعث على النصح . أنشدت لابن الرومى (٥) .

عدوك من صديقك مستفاد فلا تستكثرن من الصحاب
فإن الداء أكثر ما تراه يكون من الطعام أو الشراب

---

(١) ب ، جـ : غائبا .

(٢) الماوردى : الأمثال والحكم ٥١ ب والأبشيهى ، المستطرف فى كل فن مستظرف حـ ١ ص ٣٧ .

(٣) ب ، جـ : ارتفاق .

(٤) ا : لتكن .

(٥) هو أبو الحسن على بن العباس بن جريج الرومى مولى بنى العباس - الشاعر المطبوع - ولد ببغداد سنة ٢٢١ هـ ، كان كثير التطير ، وكان القاسم بن عبد الله وزير المعتز يخاف هجوه وفلتات لسانه ، فيقال أنه دس عليه من وضع له السم فى طعامه ثم أتى منزله وأقام به أياما ومات ٢٨٣ هـ ببغداد ، وقيل مرض ووصف له الطبيب دواء فيه سم فأخطأ فى مقداره وأكثر منه فمات .

(٦٠/ ا) فدع عنك الكثير فكم كثير يعاف وكم قليل مستطاب

فما اللجج الملاح بمرويات وتلقى الرى فى النطف العذاب (١)

٣ ـ الناس على دين ملوكهم :

هذب نفسك من الدنس ، تتهذب جميع أتباعك ، ونزه نفسك تتنزه جميع خلائفك (٢) ، وتوق الشره(٣) فلن يزيدك إلا حرصا إن أجدبت. وتقصيا (٤) إن أكديت ، وهما معرة ذوى الفضل ، ومضرة أولى الحزم . وقد قيل :

بحمدك لا بكفرك . وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال : « اقتربت الساعة ؛ ولا يزداد الناس فى الدنيا إلا حرصاً ، ولا تزداد منهم إلا بعداً » (٥) . وقال محمود الوراق(٦) .

لا يغلبنك غالب الحرص واعلم بأن الناس فى نقص

---

(١) الماوردى . أدب الدنيا والدين ص ٧٣ والثعالبى . أحسن ما سمعت تحقيق محمد صادر عنبر ، طبعة ١٣٢٤ ص ٤٠ ، ٤١ والعسكرى . جمهرة الأمثال ص ٣٠٥ .

(٢) ب ، ج ، خلفائك .

(٣) ب ، ج ، الشر .

(٤) ب ، ج ، نقصاً .

(٥) حديث ضعيف ، رواه الحاكم فى مستدركه عن ابن مسعود بلفظ « اقتربت الساعة ولا يزداد الناس على الدنيا إلا حرصا ولا يزداد من الله إلا بعدا » . السيوطى ، الجامع الصغير ص ٤٧ .

(٦) محمود بن الحسن الوراق ، معظم شعره فى الأمثال والحكم والمواعظ قيل إنه توفى ٢٢١ هـ أو ٢٣٠ هـ ابن المعتز ، طبقات الشعراء تحقيق عبد الستار احمد فرج ، دار المعارف ص ٢٦٦ وتاريخ بغداد ج ١٣ ص ٨٧ .

البس أخاك على تصنعه فلرب متفضح على النص
ما كدت أفحص عن أخي ثقة إلا عدمت كواعب الفحص(١)

رض نفسك بمشارفة الأعمال ، يرهبك جميع عمالك ، وتنتظم لك(٢) جميع أعمالك ، ولا تكل إلى غيرك ما تختص بمباشرته (٣) طلبا للدعة ، فتعزل عنه نفسك ، وتؤثر به غيرك ، فتكون من وفاته على غرر (٤) ؛ ومن نفسك على تقصير ؛ فان العطلة عقلة ، والجواد إذا وقف راكضته البراذين . وقال بزرجمهر : إن يكن الشغل مجهدة ؛ فإن الفراغ مفسدة (٥) . وقال عبد الحميد : ما زانك ما أضاع زمانك ، ولا شانك ما أصلح شأنك .

٤ ــ الفراغ : راحة وعمل :

اجعل زمان فراغك مصروفا إلى حالتين :

احدهما : راحة جسدك ، واجمام خاطرك ، ليكونا عونا لك على نظرك . روى (٦) ان ابنا لعمر بن عبد العزيز دخل عليه وهو نائم . فقال (٦١/ ا)

(١) انظر الأبيات ابن عبد البر . بهجة المجالس تحقيق محمد مرسي الخولي ج ١ ص ٦٥٢ ونهاية الأدب ٨٥/٣ والبيت الثالث في التمثيل والمحاضرة ص ٨٥ وبدلا من كلمة « عدمت » « ذميت » .
(٢) ب ، ج . تنتظم به .
(٣) ب ، ج ما يختص بمباشرته .
(٤) ب ، ج . غدر .
(٥) الماوردي . الأمثال والحكم ق ٣١ ب وأدب الدنيا والدين ص ١٩ والثعالبي : التمثيل والمحاضرة ص ٢٩٨ دون نسبه وابن حمدون (٥٦٢ هـ) : تذكرة ابن حمدون في السياسة والآداب الملكية طبعة ١٩٢٧ م ص ٨ وينسب القول إلى عمر بن الخطاب .
(٦) ا : حكى .

له (١) : يا أبت تنام ، والناس على بابك قيام ؟ فقال . يا بنى إن نفسى مطيتى وأخاف أن أحمل عليها فتقعد بى (٢) .

والحالة الثانية : أن تفكر بعد راحة جسدك واجمام خاطرك فيما قدمته من أفعالك ، وتصرفت فيه من أعمالك ، هل وافقت الصواب فيها فتجعله مثالا تحتذيه ، أو نالك فيها زلل فتستدرك منه ما أمكن وتنتهى عن مثله فى المستقبل ، فقد قيل : من فكر أبصر . وقال بعض الحكماء : من لم يكن له من نفسه واعظ ، لم تنفعه المواعظ (٣) ثم اصرف فكرك بعد ذلك إلى ما تستقبله من أفعالك على أى الوجوه(٤) تمضيه ؟ وماذا تفعل فيه ؟ ففى تقديم الفكر على العمل ، احتراز من الزلل ، لتكون على ثقة من الصواب ، فإن عارضتك الاقدار لم تلم . فقد قيل : الأمور إذا انفضت كالكواكب (٦١/ب) إذا انقضت . وقال النابغة الجعدى(٥) .

ألم تعلما أن الملامة نفعها   قليل إذا ما الشيء ولى فادبرا (٦)

---

(١) ب ، جـ . له ساقطة .

(٢) الماوردى : أدب الدنيا والدين ص ١٦٤ والمبرد : الكامل فى اللغة والأدب ط المكتبة التجارية جـ ٢ ص ٣ وابن طلحة : العقد الفريد للملك السعيد ص ١٤١ والميدانى : مجمع الأمثال جـ ٢ ص ٣٧٧ .

(٣) الابشيهى : المستظرف فى كل فن مستظرف جـ ١ ص ٢٩ .

(٤) ق ، جـ : الوجوه ساقطة .

(٥) النابغة الجعدى : هو عبد الله بن قيس بن جده بن كعب بن ربيعة ، وهو جاهلى ، وأتى الرسول عليه السلام وأشعر بين يديه ودعا له الرسول عليه السلام وعمر طويلا .

(٦) الماوردى : الأمثال والحكم ق ١٩ ب .

٥ — الرحمة والتواضع :

أخفض جناحك لمن علا ، ووطىء كنفك لمن دنا ، وتجاف عن(١) المكبر، تملك من القلوب مودتها ، ومن النفوس مساعدتها . فقد روى عن النبي ﷺ أنه قال : « لا وحدة أوحش من العجب »(٢) . وقيل لحكيم الروم : من أضيق الناس طريقا وأقلهم صديقاً ؟ قال : من عاشر الناس بعبوس وجهه ، واستطال عليهما بنفسه (٣) . ولذلك قيل : التواضع فى الشرف ، أشرف من الشرف (٤) .

٦ — الشكر والصبر :

كن شكورا فى النعمة ، صبورا فى الشدة ، لا تبطرك السراء ، ولا تدهشك الضراء ، لتتكافأ أحوالك ، وتعتدل خصالك ، فتسلم من طيش البطر وسكرة

---

(١) ا : عن ساقطة .

(٢) لم أقف على الحديث فى كتب الصحاح وأن كان الماوردى ذكره فى الأمثال والحكم ق ٤٩ ب ، ٥٠ ا بأن عليا رضى الله عنه قال إنه سمعه عن رسول الله بلفظ لا مال أعوذ من العقل ، ولا وحدة أوحش من العجب ، ولا عقل كالتدبير ، ولا كرم كالتقوى ، ولا قرين كحسن الخلق ، ولا ميراث كالأدب ولا شرف كالعلم ،ولا قائد كالتوفيق ، ولا تجـــارة كالعمل الصالح ، ولا ربح كثواب الله ، ولا ورع كالوقوف عند الشبهة، ولا زهدكالزهد فى الحرام ، ولا عبادة كأداء الفرائض، ولا علم كالتفكر، ولا إيمان كالحياء والصبر،ولاحسب كالتواضع،ولا مظاهرة أوثق من المشورة ، وقد تبع الماوردى فى اعتباره حديثا القضاعى : شهاب الأخبار ق ٢٤ ب طريق ابن حمدون فى تذكرته فى السياسة والآداب الملكية ص ٧٢ . والمشهور أن القول لعلى بن أبى طالب : الشريف الرتضى: منهج البلاغة جـ ٢ ص ٢١٣ والميدانى : مجمع الأمثال جـ ٢ ص ٢٧٤ .

(٣) الماوردى : الأمثال والحكم ق ٣١ ا .

(٤) الماوردى : الأمثال والحكم ق ٧ ب وهى من أقوال ابن السماك راجع عيون الأخبار جـ ١ ص ٢٦٧ وابن سهل العسكرى : كتاب الصناعتين ص ٢٤١ .

البصر ، فانها تنجلى (٦٢/ ا) عن ندم أو ضرر . فقد قال بعض الحكماء : العاقل لا يستقبل النعمة ببطر ، ولا يودعها بجزع(١) . وقيل فى منثور الحكم : اشتغل بشكر النعمة عن البطر بها ،(٢) . وقيل فى أمثال الهند العاقل لا يبطر بمنزلة أصابها ولا شرف كالجبل الذى لا يتزلزل وان اشتدت الريح ، والسخيف تبطره أد فى منزلة ، كالحشيش الذى يحركه أدنى ريح (٣) .

٧ — الاحسان والحزم :

أستدم مودة وليك « بالاحسان إليه » (٤) ، واستسل سخيمة عدوك بعد الاحتراز منه ، وداهن من لم يجاهرك بعدواته ، ويقابلك (٥) بمثله ، فتطفىء ثائرة عداوته ويتواطأ لك بمجاملته . قيل لبعض الحكماء : ما الحزم ؟ قال : مداجاة الأعداء ومؤاخاة الأكفاء (٦) .

ولا تعول على التهم والظنون ، واطرح الشك باليقين . فقد قيل : لا يفسدك الظن على صديق قد أصلحك اليقين له (٦٢/ب) (٧) وقال الشاعر .

إذا أنت لم تبرح تظن وتقتضى   على الظن أردتك الظنون الكواذب

---

(١) الماوردى : الامثال والحكم ق ٧ ب .

(٢) الماوردى : أدب الدنيا والدين ص ٩٠ .

(٣) ابن قتيبة : عيون الأخبار ، المجلد الأول ص ٢٨١ .

(٤) ا : « بالاحسان إليه » ساقطة .

(٥) ب ، جـ : يقاتلك .

(٦) المبرد : الكامل فى اللغة والأدب ، مطبعة التقدم ١٣٢٣ هـ جـ ١ ص ٣٤ من أقوال عبد الملك بن مروان ما المروءة ؟ فقال : موالاة الأكفاء ومداجاة الأعداء والمداجاة : المدارة أى لا تظهر لهم ما عندك من العداوة .

(٧) الماوردى : أدب الدنيا والدين ص ٧٥ .

واختبر من اشتبهت حاله عليك ، لتعلم معتقده فيك أين (١) ، فتدرى تصنعه منك ؛ فإن الألسن لا تصدق عن القلوب لما يتصنعه المداجى ، ويتكافه المداهن . كما قال عمرو بن الأهتم (٢) :

لسانك لى حلو ونفسك مرة ٭ وخيرك كالمرعاة فى الجبل الوعر

وشهادات القلوب أصدق ، ودلائل النفس أوثق ، وقد قيل فى منثور الحكم: للعين سر فى علم ما يسر . وقال إبراهيم بن المهدى :

تطل فى عينه البغضاء كامنة ٭ فالقلب يكتمها والعين تبديها
(٦٣/ا) والنفس (٣) تعرف فى عين محدثها ٭ من كان من حزبها أو من أعاديها
عيناك قد دلتا عينى على أشياء ٭ لولاهما ما كنت أدريها (٤)

فإن وقفت بك الحال على الارتياب ، اعتقدت المودة فى ظاهره ، وأخذت بالحزم فى باطنه . وإذا أقنعك الإغضاء عن الاختبار ، فلا تتخطه ، فأكثر الأمور تمشى مع التغافل والإغضاء . وقد قال أكثم بن صيفى (٥) : من شدد

(١) ب ، ح : اين ساقطة .
(٢) هو عمر بن سنان الأهتم ابن سمى التميمى المنقرى وهو من أكابر سادات بنى تميم وشعرائهم وخطبائهم فى الجاهلية والإسلام ، توفى سنة ٥٧ ﻫ ابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ١٤٧ ، ١٤٨ .
(٣) ب ، ح : المعين .
(٤) ب ، ح : البيت ساقط فهو زيادة من ا .
(٥) هو أكثم بن صيفى بن رباح بن الحارث بن مخاسن بن معاوية التميمى ، حكيم العرب فى الجاهلية وأحد المعمرين توفى سنة ٩ ﻫ الأغانى ج ١٥ ص ٧٠ .

نفر ، ومن تراخى تآلف ، والشرف فى التغافل(١) ولقلما جوهر المغضى وقوطع المتغافل ، مع انعطاف القلوب عليه ، وميل النفوس إليه ، وهذا من أسباب السعادة وحسن التوفيق . روى معمر بن خلاد بن عبد الرحمن عن أبيه قال خطبنا (٦٣ / ب) رسول الله ﷺ فقال : ألا أخبركم بأحبكم إلى الله ، فظننا أنه يسمى رجلا . فقال : أحبكم إلى الله أحبكم إلى الناس . ألا أخبركم بأبغضكم إلى الله ، فظننا أنه يسمى رجلا . فقال : أبغضكم إلى الله أبغضكم إلى الناس (٢) .

٨ — الشورى :

شاور فى أمورك من تثق منه بثلاث خصال ، صواب الرأى ، وخلوص النية ، وكتمان السر . فلا عار عليك أن تستشير من هو دونك ، إذا كان بالشورى خبيرا . فإن لكل عقل ذخيرة من الرأى وحظاً من الصواب ، فتزداد برأى غيرك . وإن كان رأيك جزلا كما يزداد البحر بمواده من الأنهار وإن كان غزيراً . فقد روى عن النبى ﷺ أنه قال : لا مظاهرة أوثق من المشاورة وقد يفضل المستشير على المشير ، ويظفر بالرأى المشير لأنها (٦٤ / ا) ضالة يظفر بها من وجدها من فاضل ومفضول . وقد روى أبو الدرداء عن النبى ﷺ أنه قال « استرشدوا العاقل ترشدوا ، ولا تعصوه فتندموا » (٣) . وعول على

---

(١) ابن قتيبة : عيون الأخبار ، المجلد الثالث ص ٥ . والماوردى : أدب الدنيا والدين ص ٧٨ . والجاحظ : البيان والتبيين تحقيق عبد السلام محمد هارون ط ٣ ج ٢ ص ٧ .

(٢) ذكره الماوردى فى الأمثال والحكم ق ٣٥ ب برواية معمر بن خلاد ابن عبد الرحمن عن أبيه .

(٣) ذكره الماوردى فى أدب الدنيا والدين ص ١٣٤ برواية أبى الزناد بن الأعرج عن أبى هريرة ، ويقول السيوطى فى الجامع الصغير ص ٣٦ رواه الخطيب لبغدادى عن مالك عن أبى هريرة وأن الحديث ضعيف وقد ذكره الثعالبى فى تحفة الوزراء ، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية ق ١٠ ب على أنه أثر .

استشارة من جرب الأمور وخبرها ، وتقلب فيها وباشرها ، حتى عرف مواردها ومصادرها ، فلن يخفى عليه خيرها وشرها ، ما لم يوهنه ضعف الهرم . كالذى حكى عن أكثم بن صيفى وقد سأله قومه بنو تميم عما دهمهم فى حرب يوم الكلاب . وقالوا : أشر علينا بالرأى ، فإنك شيخنا وعميدنا وموضع الرأى منا . فقال . إن وهن الكبر قد شاع فى جميع بدنى ، وإنما قلبى بضعة منى ، وليس معى من حدة الذهن ما أبتديء له [١] بالرأى ، ولكن تقولون [٢] وأسمع ، فإنى أعرف الصواب إذا مر [٣] . (٦٤/ب) وعول على ذوى الأسنان فإن الحكمة معهم . وقد قال الشاعر :

إن الأمور إذا الأحداث دبرها ٭ دون الشيوخ ترى فى بعضها خللا

إن الشباب لهم فى الأمر بادرة ٭ وللشيوخ أناة تدفع الزللا .

واعدل عن إشارة من قصد موافقتك متابعة لهواك ، واعتمد مخالفتك انحرافا عنك ، وعول على من توخى الحق لك وعليك . فقد قيل فى قديم الحكم : من التمس الرخص من الإخوان فى الرأى ، ومن الأطباء فى المرض ، ومن الفقهاء فى الشبه . أخطأ الرأى ، وزاد فى المرض ، واحتمل الوزر [٤] . ولا تؤاخذ من استشرت بدرك الرأى إن زل ؛ فما عليه (٦٥ / أ) إلا الاجتهاد وإن حجزته الأقدار عن الظفر . وقد قيل فى منثور الحكم : من كثر صوابه لم يطرح لقليل الخطأ [٥] .

---

(١) أ : له .　　(٢) أ : يقولون .

(٣) النص وارد لدى الثعالبي : تحفة الوزراء ، مخطوط . ق ١١١ .

(٤) بيدبا الفيلسوف الهندى . كتاب كليلة ودمنة ، كتاب الشعب ص ٤٦ وابن قتيبة : عيون الأخبار ج ١ ص ٢٠ وابن عبد البر . بهجة المجالس ج ١ ص ٤٥٥ ، ٤٥٦ .

(٥) الماوردى : الأمثال والحكم ٥٣ ب .

٩ ـ الأسرار :

اختر لأسرارك من تثق بدينه وكتمانه ، وتسلم من إذاعته وادلاله . لوقدرت على أن لاتودع سرك غيرك كان أولى بك وأسلم لك ، لأنك فيها بين خطر او حذر . وقد روى عطاء عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ انه قال : « استعينوا على قضاء الحوائج بكتمانها ؛ فإن كل ذى نعمة محسود[1] » . وقد قيل فى منثور الحكم انفرد بسرك ولا تودعه حازما فيزل ، ولا جاهلا فيخون (٢) » . والعرب تقول : من ارتاد بسره فقد اذاعه .

تثبت فيما لايقدر على استدراكه ؛ فقلما تعقب العجلة إلا ندما . (٦٥ / ب) روى عن النبى ﷺ أنه قال: « من تأنى أصاب او كاد، ومن عجل أخطأ (٣) » . وقيل فى حكم آل داود: من كان ذو تودة وصف بالحكمة. وقيل فى منثور الحكم: أناة فى عواقبها درك ، خير من عجلة فى عواقبها فوت[4] وقدم ماقدرت عليه من المعروف فقلما يعقبه

---

(١) حديث ضعيف ، رواه العقيلى فى الضعفاء وابن عدى فى الكامل والطبرانى فى التاريخ الكبير والبيهقى فى شعب الإيمان عن معاذ بن جبل السيوطى : الجامع الصغير ص ٣٦ وروا‌ه الماوردى فى الأمثال والحكم ق ٢٨ أ برواية ابن جريج عن عطاء عن عمر بن الخطاب كما ذكره فى أدب الدنياوالدين ص ١٣٧ وابن قتيبه ؛ عيون الأخبار حـ ٣ ص ١١٩ .

(٢) الماوردى : أدب الدنيا والدين ص ١٣٨ .

(٣) حديث صحيح ، رواه الطبرانى فى الكبير عن عقبة بن عامر السيوطى : الجامع الصغير ص ٣٠٢ كما رواه ايضا القضاعى عن عقبة بن عامر ، ورواه أبى شيبة وأبى يعلى عن انس مرفوعا العجلونى ، كشف الخفاء حـ ١ ص ٣٥٠ . وقد ذكر الماوردى فى الأمثال والحكم ق ٢٢ أ برواية سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : إذا تثبت أصبت أو كدت تصيب وإذا استعجلت أخطأت أو كدت تخطىء » .

(٤) ابن قتيبة : عيون الأخبار حـ ١ ص ٣٤ .

الذنب إلا ندما ، فإن القدرة غاية ولنفوذ الامر نهاية ، فاغتنمها فى مكنتك تسعد بما قدمته ، ويسعد بك من أعنته . فقد روى عن النبى ﷺ أنه قال : ولكل ساع غاية ، وغاية كل ساع الموت (١) . وقد قال على بن أبى طالب عليه السلام : انتهزوا هذه الفرص فإنها تمر مر السحاب (٢) . وقال بعض الحكماء : من أخر الفرصة عن وقتها ، فليكن على ثقة (٦٦ / أ) من فواتها (٢) . ولذلك قيل : خير الخير أوحاه . وقال الشاعر

وعاجز الرأى مضياع لفرصته ٥ حتى إذا فات امر عاتب القدرا (٣)

وقيل فى حكم الفرس : « لا خير فى القول الا مع الفعل ، كما لا خير فى المنظر إلا مع المخبر (٤) . وقيل فى أمثال الهند : لا يتم حسن القول الا بحسن العمل ، كالمريض الذى لا يبرأ بمعرفه الدواء حتى يتداوى (٥) .

---

(١) القضاعى (٤٥٤ هـ) : شهاب الأخبار ، مخطوط ، بمكتبة البلدية برقم ١٩٣٨ هـ ق ٢٨ ب بلفظ « إن لكل ساع غاية . . الخ » .

(٢) ابن عبد ربه . العقيد الفريد تحقيق محمد سعيد العريان ٢ ا ط ٢ ص ٣٣ والميدانى . مجمع الأمثال ٢ ص ٣٤ .

(٣) الماوردى : أدب الدنيا والدين ص ٨٩ وينسب القول لعبد الحميد الكاتب .

(٤) أنشده الرياشى راجع ابن قتيبة : عيون الأخبار المجلد الاول ص ٣٤ والمجلد الثانى ص ١٤١ وراجع الماوردى : أدب الدنيا والدين ص وابن عبد البر : بهجة المجالس ج ١ ص ٤٥٦ بدون نسبة .

(٥) ابن حمدون : تذكرة ابن حمدون السياسة والأدب الملكية ١ ١٩٢٧ م ص ١٧ .

(٦) بيدبا الفيلسوف الهندى : كتاب كلية ودمنة ص ٦٧ وعبد الله بن المقفع : الأدب الصغير تحقيق أحمد زكى الطبعة الاولى ص ٧٣ ، ٧٤

١٠ — المدح سوق النفاق :

احذر قبول المدح من المتملقين ، فإن النفاق مركوز فى طباعهم ، ومدحك هين عليهم (١) . فإن يقفوا (٢) عليك غششت نفسك ، وداهنت حسك ، وصح فيك ماقيل فى منثور الحكم : سوق النفاق دائمة النفاق (٣) . وقال عبدالملك بن مروان لروح بن زنباع : لاتفتان عندى (٦٦ / ب)أحدا ، فإنى لا أأتمنك على غيرى ، ولاتفشن لى سرا ، فإنى لاأثق بك فى مجلس ، ولاتطرينى فى وجهى ، فإنى إن قبلته منك غبنت(٤) عقلى ، وإن رددته عليك أسأت عشرتى . وأنت (٥) اعرف بنفسك من غيرك فيما يستحق به حمدا أو ذما . ففاتح نفسك بما فيها ، فأنت أعلم بمحاسنها ومساويها. وقد قيل فيما انزل الله تعالى من الكتب السالفة : عجبت لمن قيل فيه الخير وليس فيه كيف يفرح ، وعجبت لمن قيل فيه الشر وهو فيه كيف يغضب (٦) . وقال بعض الحكماء : من مدحك بما ليس فيك فحقيق أن يذمك بما ليس فيك (٧) . وقال بعض البلغاء (٨) . من أظهر شكرك

---

(١) ب ، حـ : ويدا جونك بهين عليهم :

(٢) ب ، حـ : نفقوا

(؟) أبو بكر الخوارزمى : مفيد العلوم ومبيد الهموم ص ٢٣٤.

(٣) أ : غبيت .

(٤) ابن قتيبة : عيون الأخبار حـ ٢ ص ٢٣ بلفظ « اياك وان تمدحنى فإنى اعرف بنفسى منك، أوتكذبنى فانه لا رأى لكذوب ، أوتسعى بأحد إلى ، وإن شئت أن أقيلك أقلتك » والمبرد : الكامل فى اللغة والأدب حـ ١ ص ٣٨ . وابن عبد البر : بهجة المجالس حـ ١ ص ٣٤٣ .

(٧) ب ، حـ . فإنك .

(٦) ابن قتيبة : عيون الأخبار حـ ص ٢٧٦ .

(٧) مسكويه : الحكمة الخالدة تحقيق عبد الرحمن بدوى ص ١١٠ «احذر من يطريك بماليس فيك ، فيوشك أن يبهتك بماليس فيك ينسبه الى الامام على بن أبى طالب .

(٨) أ : الحكماء .

فيما لم تأت اليه ، فأحذره أن يكثر تمتك فيما اسديت إليه (١) ففوض مدحك إلى أفعالك فانها تمدحك بصدق إن (٦٧ / أ) أحسنت ، وتذمك بحق إن أسأت ولاتغتر بمخادعة اللسان الكذوب . فقد قيل : أبصر الناس من أحاط بذنوبه ، ووقف على عيوبه(٢) . وقد قيل في بعض الصحف الأولى : ثمار الحكماء لأنفسهم . كتب حكيم الروم الى الاسكندر : لاترغب فى الكرامة التى تنالها من الناس كرها ، ولكن فى التى تستحقها بحسن الأثر وصواب التدبير(٣) .

١١ - أحماد السلطان وشكر الرعية

واعتمد بنظرك أحماد سلطانك، وشكر رعيتك، تكن أيامك سعيدة، وأفعالك محمودة، والناس بك مسرورون(٤) ولك أعوانا مساعدين ، ويبقى بعدك فى الدنيا جميل ذكرك ، وفى الآخرة جزيل أجرك ، واستعذ بالله من ضدها ، فيعدل بك إلى ضدها . فإن الولايات كالمحل تظهر جواهر أربابها ، فمنهم نازل مبذول ، وصاعد مفتون (٥) ، وقد روى (٦) عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه (٦٧ / ب) قال : « احسنوا جوار نعم الله تعالى ، فقل مازالت عن قوم فعادت إليهم »(٧)

---

(١) من أقوال الامام الشافعى (٢٠٤ هـ) راجع الرازى : مناقب الامام الشافعى ص ٢١٣ وحسين عبد الله : الجوهر اللماع فيما ثبت بالسماع ، من حكم الامام الشافعى المنظومة والمنثورة ط ١٣٢٦ هـ بمصر ص ٥٠ .

(٢) الماوردى : الأمثال والحكم ق ٧ أ .

(٣) ابن قتيبة : عيون الأخبار جـ ١ ص ٨ .

(٤) ب ، جـ : مسرورين .

(٥) ب ، جـ نازل مرذول وصاعد مقبول .

(٦) ب ، جـ « قد » ساقطة .

(٧) حديث ضعيف ، رواه أبى يعلى فى مسنده والعدى فى الكامل عن أنس ورواه البيهقى فى شعب الإيمان عن عائشة . السيوطى : الجامع الصغير ص ١٢ .

ولذلك(١) قيل : ربما شرق شارب الماء قبل ريه (٢) . وتعرض رجل ليحيى بن خالد بن برمك وهو على الجسر بكتاب وسأله أن يختمه فقال : ياغلام اختم كتابه مادام الطين رطبا ثم أنشد .

إذا هبت رياحك فاغتنمها ٭ فان لكل خافقة سكون

ولاتغفل عن الاحسان فيها ٭ فماتدرى السكون متى يكون(٣)

اذا نلت من سلطانك حظا ، وأوجبت عليه بخدمتك (٤) حقا ، فلا تستوفه ودع لنفسك بقية يذخرها لك ويراها (٥) حقا من حقوقك ليكن كفيل أداءها (٦٨ / أ) إليك . فإنك إن استوفيتها صرت إلى غاية ليس بعدها الا النقصان . فقد قال الشاعر :

إذا تم أمر بدا نقصه ٭ توقع زوالا إذا قيل تم (٦)

١٢ — حوائج الناس :

واعلم انك مرصد لحوائج الناس لان بيدك أزمة الأمور ، وإليك غاية الطلب ، فكن عليها صبورا تكن بقضائها شكورا ، ولاتضجر (٧) على طالبها وقد أملك ، ولاتنفر عليه إن راجعك فما يجد الناس من سؤالك بداء ولخير دهرك

---

(١) ب ، ح : وكذلك .
(٢) من أمثال المولدين : الميدانى مجمع الأمثال حـ ١ ص ٢١١ .
(٣) الماوردى : أدب الدنيا والدين ص ٨٩ .
(٤) ب ، ج : من خدمتك .
(٥) ب ، ح : فيراها .
(٦) ابن قتيبه : عيون الأخبار حـ ٢ ص ٢٢٢ بدون نسبة .
وبدلا من كلمة (بدأ) كلمة (دنا) وأيضا بن سهل العسكرى (٣٥٩ھ) كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) ص ٢٩
(٧) ب ، ح : ولايضجرك .

أن تكون مرجوا ، وأنشدت لأبى بكر بن دريد (١) :

لاتد خلنك ضجرة من سائل ☆ فلخير دهرك أن ترى مسئولا
لاتجبهن بالرد وجه مؤمل ☆ فبقاء عزك أن ترى مأمولا
واعلم بأنك عن قليل صائر ☆ خبرا فكن خبرا يروى جميلا

وقد قيل فى الصحف الأولى القلب الضيق لاتحسن (٦٨ / ب) به الرياسة والرجل الأثيم (٢) لايحسن به الغنى (٣) ، ولأن كاب الحوائج كالمغارم لمن استغلها (٤) فهى مغانم لمن وفق لها ، وليس بغرم ماعاد بغنم ولا بضائع ماأصطنع فى معروف . وقد روى عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : ما عظمت نعمة الله على عبد إلاعظمت مؤنة الناس عليه فمن لم يحتمل مؤنة الناس عرض تلك النعمة للزوال (٥) . واذا جعلت الوزارة غايات الامور إليك

---

(١) أبو بكر بن دريد ، ولد فى البصرة / ٨٢٧م وانتقل الى عمان وأقام بها أثنى عشرة سنة ، ثم عاد للبصره وسكنها وكان أعلم الشعراء وفقهيا فى اللغة ، وألف عدة كتب فى اللغة ، وكتاب فى غريب القرآن لم يكمله وتوفى / ٩٣٢ م عن خمسة وتسعين عاما . الأصفهانى : الأغانى جـ١٨ ص١٦٧ الى ١٧٥ وابن خلكان : وفيات الاعيان جـ ١ ص ٤٩٧ .

(٢) ب ، جـ اللئيم .

(٢) أبو بكر الخوارزمى : مفيد العلوم ص ٢٠٤ .

(٤) ب ، جـ : استثقلها .

(٥) ذكره الماوردى : فى الأمثال والحكم ق ٢٧ ب برواية ابن جريح عن عمر بن الخطاب . وقد رواه ابن أبى الدنيا فى قضاء الحوائج عن عائشة ورواه البيهقى فى شعب الإيمان عن معاذ ، ويقول السيوطى ان الحديث ضعيف: الجامع الصغير ص ٢٨٣ والعجلونى : كشف الخفاء ومزيل الالباس جـ ٢ ص ٢٦٦ وقد ذكره القضاعى : شهاب الأخبار ، مخطوط ق ٢٣ ب كحديث صحيح .

منتهية ، وحوائج الناس عليك واقعة ، والقدرة لك مساعدة لانبساط يدك ، ونفوذ أمرك . صرت بالتوقف والاعراض مخلا بحقوق نظرك ، وآسفا على فوات فطنتك ، وقد قال بهرام جور (١) فى عهده الى ملوك فارس . إنكم بمكان لامصرف للناس عن حوائجهم (٦٩ / أ) إليكم ، فلتتسع صدوركم كاتساع سلطانكم . فان ذخرك باصطناعه أبقى ، ودفعك به عن نعمتك أوقى . وقال على بن الجهم(٢) :

إذا جدد الله لى نعمة ٭ شكرت ولم ترنى جاحدا
ولم يزل الله بالعائـــدا ٭ ت على من يجود بها عائدا
أيا جامع المـال وفرت ٭ لغيرك إذا لم تكن خالدا
فإن قلت أجمعه للبنـــين ٭ فقد افقـــر الولد الوالد
وإن قلت أخشى صروف الزما ٭ ن فكن من تصاريفه وجادا

فاجعل يومك أسعد من امسك ، وصلاح الناس عندك كصلاح نفسك ، ومل إلى اجتذاب القلوب بالاستعطاف ، وإلى استمالة النفوس بالانصاف ، تجدهم كنوزا فى شدائدك ، وحرزا في نوائبك .(٦٩/ب) وقد قال بعض الحكماء :

---

(١) بهرام جور هو بهرام بن يزدجرد،وكان نشوؤه ببلاد الحيرة بين العرب أسلمه ابوه إليهم فربى بينهم وتكلم بلغتهم ، ولما مات أبوه قدم أهل فارس رجلا من نسل أزد شير . ثم زحف بهرام جور بالعرب فاستولى على ملكه ، وفى ايام بهرام جور سار خاقان ملك الترك الى بلاد الصغد من ممالكه فهزمه بهرام وقتله . ثم غزا الهند وتزوج ابنة ملكهم ،فهابته ملوك الارض ،وحمل اليه الروم الأموال على سبيل المهادنة . وهلك لتسع وعشرين من دولته . ابن خلدون : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر حـ ١ المكتبة التجارية بفاس ص ٢٦١ .

(٢) على بن الجهم بن بدر السامى ، وكان قرشيا .

من زرع خيرا حصد أجرا ومن اصطنع حراً استفاد شكراً . وقيل فى منثور الحكم : خير زاد القدرة اعتقاد المنن . وقال الشاعر :

حصادك يوما ما زرعت وانما　　　يدان امرؤ يوما بما هو دائن

١٣ — الحذر من دعوة المظلوم والبعد عن عن الشهوات :

احذر دعوة المظلوم وتوقها ورق لها إن واجهك بها ، ولاتبعثك العزة على البطش فتزداد ببطشك ظلما وبعزتك بغيا وحسبك بمنصور عليك من كان الله ناصره منك . وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اتقوا دعوة المظلوم فانما يسأل الله حقه وإن الله لايمنع ذا حق حقه » (٢).

كن للشهوات عزوفا تنفك (٧٠/أ) من أسرها فان من قهرته الشهوة كان عبدا لها ومن استعبد بالشهوات (١) ذل بها . وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من اشتاق إلى الجنة سارع فى الخيرات ومن اشفق من النار لهى عن الشهوات » (٣) . وقيل لبعض حكمام الروم : ما الملك الأعظم ؟ .

قال : ان يغلب الإنسان شهوته . وقيل له : ما الفرق بينك وبين الملك ؟ قال : الملك عبد الشهوات وأنا مولاها . وكن بالزمان خبيرا تسلم من عثرته فان

---

(١) ب ، حـ . استعبدته الشهوة

(٢) ذكره الماوردى : فى الامثال والحكم ق ٢٧ ب برواية جعفر بن محمد عن أبيه عن جده كما رواه الخطيب البغدادى فى تاريخة عن على ويذكره السيوطى فى الجامع الصغير ص٨ أن الحديث ضعيف .

(٣) حديث ضعيف . رواه البيهقى فى شعب الإيمان عن على بن أبى طالب السيوطى . الجامع الصغير ص ٩٩ وقد ذكر الماوردى الحديث فى الأمثال والحكم ق ١٨ ب برواية حفص عن مكحول عن أنس رضى الله عنه باضافته « .. ومن ترقب الموت زهد فى اللذات »

لاغترار به مرد ، وقدم لمعادك ليبقى عليك ما ادخرته ؛ فلن تجد إلا ما قدمت وإنك لتجازى بما صنعت ، واستقل الدنيا تجد فى نفسك عزا فترضى إذا سخطت وتسر إذا حزنت فلن يذل إلا طالبها ، ولن يحزن إلا صاحبها . وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : (٧٠/ب) « أنا زعيم لمن اكب على الدنيا بفقر لاغنى فيه وشغل لا انقطاع له » . وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : احذروا الدنيا فانها غرارة (١) مكارة ختارة خسارة تستنكح فى كل يوم بعلا ، وتستقل فى كل وقت أهلا (٢) . وقال بعض الحكماء : ليكن طلبك للدنيا اضطرارا ، وفكرك فيها اعتبارا ، وسعيك لمعادوك ابتدارا (٣) . وقال عبد الحميد : طالب الدنيا عليل ، ليس يروى له غليل . وقال الشاعر .

---

(١) ب ، حـ : غدارة

(٢) الجاحظ . التبيان والتبيين تحقيق عبد السلام هارون ط ٣ الخانجى حـ ٢ ص ١٢٦ مسندة إلى قطرى بن الفجاءة (وهو أحد زعماء الخوارج) وأيضا القلشقندى (٨٢١ ق) : صبح الأعشى حـ ١ ص ٢٢٣ ويرى ابن أبى الحديد فى حـ ٢ ص ٢٤٢ من شرح نهج البلاغة انه قد رآها فى كتاب الموفق لأبى عبدالله المرزبان منسوبة لأمير المؤمنين على بن أبى طالب ، وملازمات الجمل تدل على أنها بكلام على بن أبى طالب رضى الله عنه أشبه . وقد يكون القطرى قد خطب بها بعد أن أخذها عن بعض أصحاب على كرم الله وجهه ، لأن الخوارج كانوا أصحابه وأنصاره ولقد لقى قطرى أكثرهم .

(٣) الماوردى : أدب الدنيا والدين ص ٤٩

فلا جزع ان راب دهر بصرفه   وبدل حالا والخطوب كذلك
فما العيش الا مدة سوف تنقضى   وما المال إلا هالك بعد(١)هالك

اجعل صالح عملك ذخرا (٧١/ا) لله (٢) عند ربك ، وجميل سيرتك أثرا مشكورا فى الناس بعدك ، لتقتدى بك الاخيار ، ويزد جربك الاشرار ، تكن بالثواب حقيقا وبالحمد جديرا .فقد قيل . الاغترار بالاعمار من شيم الأغمار(٣). فلن يبقى بعدك إلا ذكرك فى الدنيا وثوابك . فى الآخرة ، فاظفر بهما ، واغتنم بقية عمرك لهما ، تكن سعيدا فيهما فإن الدنيا كأحـــلام نائم يستحليها فى غفوته ويلفظها بعد يقظته . وقد قيل فى الصحف الأولى احرص على الاسم الصالح لأنه لايصحبك غيره (٤) . وقال الجاحظ (٥) . وليت خزانة كتب الرشيد (٦)

---

(٦) ب ، حـ : ابن
(٢) ب ، حـ : لك زائدة وساقطة من ا
(٣) أبو بكر الخوارزمى : مفيد العلوم ومبيد الهموم ص ٢٠٤ .
(٤) أبو بكر الخوارزمى : مفيد العلوم ومبيد الهموم ص ٢٩٤

(٥) هو ابو عثمان عمر والجاحظ بن بحر بن محبوب الكنانى البصرى ، نشأ ببغداد ، أحد كبار أئمة الأدب العربى ، وله شمول بالثقافة الاسلامية ، وتوفى ٢٥٥ هـ عن أكثر من مائة عام عمرا . ياقوت معجم الأدباء ط دار المأمون١٣٥٥ بمصر حـ ٦ / ٧٢ ، ٧٣ وابن خلكان : وفيات الأعيان ، ط، الميمنة، ١٣١٠بمصر حـ٢ ص ١٠٦ وابن عماد الحنبلى : شذرات الذهب حـ٢ ص ١٢٢ .

(٦) الرشيد : هارون أبو جعفر بن المهدى محمد بن المنصور عبد الله بن محمد ابن على بن عبد الله بن العباس ، ولد بالرى ، وتولى الخلافة سنة سبعين ومائة ، وكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة ، كان جواد ممدحا ، غازيا مجاهدا شجاعا مهيبا ، واشتهر باللهو واللذات المحظورة والغناء ، ومات وله خمس واربعون سنة فى سنة ١٩٣ هـ الذهبى : دول الاسلام حـ١ ص ١٢١ والسيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٢٨٣/٢٩٠ .

وتصفحت كتبه فلم أجد كلمة إلا وجدت لها نقيضة إلا كلمات جاءت عن فيلسوف العرب على بن أبى طالب عليه السلام قيمة (٧١/ب) كل أمرىء ما يحسن (١)، من جهل شيئا عاداه (٢) ولن يهلك امرؤ عرف قدره (٣)، وكلما يتصور فى الأوهام فالله خلافه، وبقية عمر الرجل لا ثمن لها ولا قيمة لأنه يستدرك فيهاما فاته ويحيى فيها ما أماته.

فاغتنم أيها الوزير بقية أيامك بأجمل أفعالك واستدرك فيها ما تقدم من سوء آثارك، وكفر بها ما أسلفت من فجورك واغترارك، فخواتيم الأمور تعفى ما سبق حتى تتناساه النفوس وتتغاضى عنه العيون. لأنها توكل بالأدنى وإن جل ما مضى، وإذا امدتك الأقدار بالتوفيق، وغالبك العقل بالتلافى عدلت واعتدلت ففزت فى آخرتك، وسعدت فى آجلتك. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما استودع الله (٧٢/أ) أحداً عقلا إلا استنقذه به يوما ما، فاذا عقلك عقلك عن الباطل فأنت عاقل.

١٤ — تحذير ونذير:

وسأختم تحذيرك وانذارك، وأتبع تبصيرك واذكارك بما أنذر به الرسول

---

(١) ابن قتيبة: عيون الأخبار، المجلد الثانى ص ١٢٠ والجاحظ: البيان والتبيين ط٣ جـ٢ ص ٧٧ والميدانى: مجمع الأمثال جـ٢ ص ١١٧، وابن حمدون: ص ٧.

(٢) نهج البلاغة جـ٢ ص ٢٢٨ والميدانى: مجمع الأمثال جـ٢ ص ٣٧٥ وتذكرة ابن حمدون ص ٧

(٣) نهج البلاغة جـ٢ ص٢٣٤ «الناس أعداء ماجهلوا»

(٤) ابن حبان البستى: روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص ١٨ وتذكرة ابن حمدون السياسة والآداب الملكية ص ٧٤ ويذكره الماوردى فى أدب الدنيا والدين ص٣ على أنه من أقوال حسن البصرى.

صلى الله عليه وسلم فهو أوعظ نذير ، وابلغ تخويف وتحذير . روى عبد الله بن عبيد عن عمير الليثى عن حذيفة بن اليمان قال رسول الله ﷺ : إن من أشراط الساعـــة إذا رأيتم الناس أماتوا الصلاة ، وأضاعوا الامانة ، وأحلوا الربا ، واستخفوا بالدماء ، وباعوا الدين بالدنيا ، وشربت الخمور ، وعطلت الحدود ، واتخذوا القرآن مزاميرا ، واتخذت الامانة مغنما ، والزكاة مغرما ، وكان الحلم ضغثا ، والولد غيظا ، وغاض الكرام غيضا ، وفاض اللئام فيضا ، وكان (٧٢/ب) الأمراء فجرة ، والوزراء كذبة ، والأمناء خونة ، والقراء فسقة ، وكان زعيم القوم ارذلهم ، وتشبه الرجال بالنساء ، والنساء بالرجال ، وكذب الصادق ، وصدق الكاذب ، ولعن آخر هذه الأمة أولها ، فليتوقعو نزول البلاء بهم »[١] . وقد أوجزت لك أيها الوزير ماكان عملك به محيطا ذكرك ، وان كانت غافلا عنه أنذرك ، وأن يمدك بتوفيقه ، ويعينك على طاعته بجوده وكرمه . والحمـــد لله وصلواته وسلامه على سيدنا محمد وصلواته وسلامه على سيدنا محمد النبى الأمى وآله الطيبين الطاهرين الأخيار .

ووافق الفراغ منه نهار السبت الرابع والعشرين شهر ذى القعدة الحرام لسنة عشرة وثمانمائة .

---

(١) حديث صحيح عن على أخرجه الترمذى قال رسول الله ﷺ إذا فعلت أمتى خمس عشرة خصلة حل بها البلاء : وماهى يارسول الله ؟ قال : إذا كان المغنم دولا ، والامانة مغنما ، والزكاة مغرما ، وأطاع الرجل زوجته ، وعق أمه ، وبر صديقه ، وجفا أباه ، وارتفعت الأصوات فى المساجد ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، وأكرم الرجل مخافة شره ، وشرب الخمر ، ولبس الحرير ، واتخـذت القينات والمعازف ولعن آخر هذه الامة أولها ، فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وخسفا أو مسخا وقذفا .

الفهارس الفنية

١ – فهرس القرآن الكريم

الآيات	اسم السورة	رقم الآية	الصفحة
واجعل لى وزيرا من أهلى . هرون أخى . اشدد به أزرى . وأشركه فى أمرى .	طه	٢٩ - ٣٢	٣٠
سنشد عضدك بأخيك .	القصص	٣٥	٣٠
اذهبا إلى فرعون إنه طغى .	طه	٢٤	٣٠
ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها .	طه	٨٧	٣١
حتى تضع الحوب أوزارها .	محمد	٤	٣١
واجعل لى وزيرا من أهلى . هرون أخى . اشدد به أزرى .	طه	٢٩ - ٣١	٣١
كلا لاوزر .	القيامه	١١	٣١

٢ — فهرس الحديث النبوى

« الألف »

٣ - فهرست الأمثال والحكم

« الألف »

الحكمة	رقم الصفحة

الحكمة	رقم الصفحة
« الخاء »	
خذ بالأناة ما استقامت لك ، واقبل العافية ماوهبت لك ،	
ولا تعجل إلى مناجزة العدو ما وجدت إلى الحيلة سبيلا	٧٥
خذ على عدوك بالفضل فإنه أحد الظفرين	٧٥
الخرق الدلالة على السلطان والوثبة قبل الامكان	٩٧
خل الطريق لمن لا يضيق	٩٩
خير زاد القدرة اعتقاد المنن	١٦٢
خير الأخلاق أعونها على الورع	٩٥
خير الخير أوحاه	١٥٦
خير السجايا ما وافق الحاجة	١١٨
خير من الخير فاعله ، وشر من الشر فاعله	٩١
الخير أبقى وإن طال الزمان به	١٠٩
« الدال »	
دخل بيتا ما خرج منه	
دع اللجاج فإنه يكسر عزائم العقول	٥٩
الدنيا إن بقيت لك لا تبقى لها	١٠٦
الدنيا مرتجعة الهبة ، والدهر حسود لا يأتى على شىء إلا غيره	٩٢
« الذال »	
ذو المروءة يرتفع بها ، وتاركها يهبط	١٤٥
الذى يحب الشهوات يبغض نفسه	١٤٠
الذى يكتم جهله خير من الذى يكتم حكمته	١٢٣
الذى يلج بالكذب يرعى الرياح	٦٣

الحكمة	رقم الصفحة
المرض، ومن الفقهاء في الشبهة، أخطأ الرأى، وزاد في المرض واحتمل الوزر	١٥٤
من اولع بقبح المعاملة أوجع بقبح المقابلة	١٠١
من بسطه الادلال قبضه الاذلال	١٣٢
من تأنى اصاب أو كاد ومن عجل أخطأ أو كاد	١٥٥
من الجهل صحبة ذوى الجهل ومن المحال مجادلة ذى المحال	١٤٤
من حاول امرا بمعصية الله كان ابعد لما رجا واقرب لمجيء ما اتقى	٩٥
من حسن وداده قبح استفساده	١٢١
من خدم السلطان خدمه الاخوان	١٢٦
من الدنيا على الدنيا دليل	٨٥
من سعادة الانسان ان لايكون عند فساد الزمان مدبرا للزمان	٤٩
من السعيد ؟ قال : من اعتبر بأمسه واستظهر لنفسه	٩٣
من سكرات السلطان الرضا عن بعض مايستوجب السخط والسخط على بعض من يستوجب الرضا	٥٤
من سل سيف البغى اغمد فى رأسه	٧٥
من شدد نفر ، ومن تراخى تألف ، والشرف فى التغافل	١٥٣
من شر الناس ؟ قال : من لايبالى ان يراه الناس مسيئا	٩٠
من زرع خيرا حصد اجرا	١٦٢
من ضن بعرضه فليدع المراء	٩٩
من ضيع امره فقد ضيع كل أمر ، ومن جهل قدره هجل كل قدر	١٤٤
من طلب الحق بما عليه ادركه	

الحكمة	رقم الصفحة
« الهاء »	
الهزل آفة الجد ، والكذب عدو الصدق ، والجور مفسدة الملك	٦٠
الهم قيد الحواس	٦١
« الواو »	
الواقية خير من الراقية	١٣١
الوزارة ابعد الأمور من ان تحتمل غير اهلها	١٠٤
الوعدمرض المعروف، والانجاز برؤه والمل تلفه	٥٩
ويل للأئمة لأن الشقاء لازم لهم إلى يوم وفاتهم والاب الاثيم يلعنه بنوه إذا كانوا صالحين ، لأنهم يعيرون به	١٠٩
« الياء »	
يابنى اعتزل الشر يعتزلك فان الشر للشق خلق	٧٨
يجب على العاقل ان لا يجزع من جفاء الولاه وتقديمهم الجاهل عليه اذ كانت الأقسام لم توضع على قدر الاخطار ، فان حكم الدنيا ان لاتعطى احدا ما يستحقه ، لكن تزيده أو تنقصه	١٤١

فهرس الشعر

قافيــة الــلام

صدر البيت	قافيته	عدد الأبيات	قائله	رقم الصفحة
ما زالت أسمح	الخجلا	١	ابن الحجاج	٩٧
إن الأمور	خللا	٢		١٥٤
لا تدخلنك	مسئولا	٣	أبو بكر بن دريد	١٦٠

قافيــة الميم

صدر البيت	قافيته	عدد الأبيات	قائله	رقم الصفحة
إذا تم	تم	١		١٥٩
فلا تأمنن	نائم	١	عمر بن براقة	٧٩
همومك بالعيش	ميم	٣		٨٦

قافية النــون

صدر البيت	قافيته	عدد الأبيات	قائله	رقم الصفحة
حصادك يوما	دائن	١		١٦٢
إذا هبت رياحك	سكون	٢	خالد بن برمك	١٥٩
إن الزمان	لخاشن	٢	أبو العتاهية	١٠٧

قافية الهــاء

صدر البيت	قافيته	عدد الأبيات	قائله	رقم الصفحة
تطل فى عينيه	تبديها	٣	إبراهيم بن المهدى	١٥٢
والنفـوس	تقويهـا	٢	إبراهيم ابن	٨٢

فهرس الاعــلام

ا

ب

ت

ث

ج

ح

ر

ز

س

ش

ص

ط

ع

ك

ل

م

ن

هـ

و

ى

فهرس الموضوعات

مقدمة عن المؤلف والكتاب

كتاب الوزارة

رقم الصفحة

تم بحمد الله

مطابع الشامي

